

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

جامعة بجاية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي



عنوان المذكرة

التأريخ وهاجس الكتابة السردية عند " الحبيب السائح" في
رواية " كولونيل الزيرير "

مذكرة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب عربي حديث و معاصر

إشراف الأستاذ

إعداد الطالب (ة)

- سعيد اباون

- صايش جازية

- صايت وردية

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة :

الأستاذ: سعيد اباون.....جامعة بجاية.....مشرفا ومقررا.

الأستاذة: عيلة معاندي.....جامعة بجاية.....رئيسا.

الأستاذ: رياض أودحمان.....جامعة بجاية.....عضوا مناقشا.

2019/2020 السنة الجامعية:

شكر

شكر

شكر وعرافان

قال الله تعالى : " لئن شكرتم لأزيدنكم " سورة إبراهيم الآية 107.
نحمد الله عز وجل حمدا طيبا مباركا فيه ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شاء، ونشكره كثيرا جزيلا على كل نعمه وأفضاله علينا والحمد لله دائما وأبدا.
نتقدم بأكاليل من أهاريج الشكر والعرافان تتشدها خفقات قلوبنا و تجمعها باقة من التكريم والتقدير إلى الأستاذ الفاضل " سعيد إياون " الذي رافقنا خلال إعداد هذا البحث وتوجيهاته القيمة وإرشاداته الثرية وقبل ان نمضي نقدم أسمى آيات الشكر والامتنان والتقدير إلى الأساتذة المناقشين.
والى كل من قدم لنا يد العون من قريب ومن بعيد.
جازية ووردية

مقدمة

استطاعت الرواية الجزائرية المعاصرة أن تحتل مكانة مرموقة وسط الإبداع العربي الحديث والمعاصر، بل وذاع صيتها وبلغ جميع الأقطار العربية والعالمية متربعا على عرشها أكابر الأدباء والمبدعين، من أمثال "الطاهر وطار، عبد الحميد بن هدوقة، واسيني الأعرج، والحبيب السائح وغيرهم".

وتمكنت من تدشين بصمتها ضمن الأجناس والفنون الأدبية في العالم العربي ككل، بالنظر لتمييز مضامينها وموضوعاتها الروائية، بحيث أسهمت في نقل مآسي الشعب الجزائري خلال فترتي حرب التحرير والعشرية السوداء، لتساير تلك التحولات الطارئة المجتمع الجزائري وتمس جوانب من حياته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية، متطلعة لتبني هذه التحولات في محاولة جادة لجعل البنية السردية والقيمة الروائية تواكب هذه التغيرات الفعلية.

وبما أن الروائي هو أبرز المتأثرين بهذه التحولات، فإنه بالضرورة سيسعى لنقلها وتصويرها في إبداعاته الروائية عبر كيان سردي متميز، يطرح من خلاله ملامح حياة الشعب الجزائري في نضاله وكفاحه وثوراته المتلاحقة، بالتأريخ لأحداثها وتفصيلها المعاشة إبان مرحلتي الثورة والمحنة الوطنية، وإن كان هذا النوع من الروايات الموسوم بالرواية التاريخية يفرض شكله الخاص، فإن مسؤولية الأديب تتضاعف بالنظر للمضامين التي تطرحها والمتعلقة بالتاريخ الوطني، ووجب عليه التعامل الحذر في توظيف التاريخ والأحداث التاريخية داخل النص السردية، حتى لا يصدر عنه تقصير على مستوى الجانب الدلالي الفني، ويسهم، في الآن نفسه، في إظهار الجوانب الجمالية المتمثلة في نصه الروائي من خلال التركيز على طريقة التوظيف.

وقد حاولنا الاستفادة من آليات التفسير والتحليل، وبعض أدوات المنهج التاريخي في هذا البحث الموسوم: "التأريخ وهاجس الكتابة السردية عند الحبيب السائح في روايته "كولونيل

الزيربر"، للوقوف على الحقائق التاريخية للثورة والعشرية السوداء والأحداث المهمة المسكوت عنها، وإبراز بعض آليات السرد الجمالية الموظفة في نص رواية "كولونيل الزيربر"، وكذا تبيان تجليات توظيف التاريخي وإحاقه بالمتخيل الروائي، ومدى توفيق "الحبيب السائح" بينهما في نصه الروائي.

وعلى هذا الأساس تمحورت إشكالية البحث حول سؤال إشكالي مركزي هو: كيف أرخ "الحبيب السائح" للثورة وأبرز مجرياتها، وما هو هاجس الكتابة السردية وفلسفتها لديه في "كولونيل الزيربر"؟ وقد نبغ اختيارنا للموضوع عن ملاحظتنا لنقص الدراسات النقدية والتحليلية وكذا التأريخية في الأدب الجزائري في هذا المجال، إضافة إلى جدة هذا الموضوع الذي اخترناه لبحثنا.

أما عن الدراسات التي سبقت وتناولت موضوع التأريخ للثورة، وهاجس الكتابة السردية في الرواية الجزائرية فهي نادرة جداً، وقد اعتمدنا على شهادة ماجستير من إعداد الطالب: "السعيد زعباط"، يطرح فيها قضية التاريخي والمتخيل في رواية كتاب "الأمير عبد القادر" لواسيني الأعرج".

وقد ارتأينا تقسيم البحث إلى مقدمة وفصلين: فصل أول نظري موسوم: التاريخ والرواية التاريخية بحث في العلائق والمميزات، حاولنا فيه التأسيس لمصطلح الرواية التاريخية، وبحث أهم خصائصها الفنية والموضوعاتية، وتحديد علاقة الرواية بالتاريخ، أما الفصل الثاني فقد جاء معنوناً: "جدلية التاريخي والتخييلي السردية في رواية "كولونيل الزيربر" ، بينا فيه طريقة توظيف "الحبيب السائح" للتاريخ بالتأريخ للثورة والعشرية السوداء قصد تحديد هاجس الكتابة السردية لديه، والوقوف على بعض آليات السرد في رواية "كولونيل الزيربر"، ودُبل البحث بخاتمة حوصلنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال الرواية.

ولا يخلو هذا البحث، كغيره من البحوث، من صعوبات واجهتنا منها: قلة الدراسات التي اهتمت بهذا النوع من الإشكاليات التي طرحناها في الرواية الجزائرية، وقلة المراجع

بالنظر للمرحلة الصحية الاستثنائية التي يشهدها العالم، مما انجر عنها غلق المكتبات والجامعات ما حال دون وصولنا للمراجع والمصادر.

ولقد ختمنا هذا البحث بعون الله عز وجل وتوفيقه وبفضل الأستاذ: "سعيد إياون" الذي غدق علينا بالنصائح القيمة والإرشادات، فله الشكر الجزيل لذلك، كما نشكر كل يد مدت لنا العون لإتمام مشروع بحثنا.

الفصل الأول :

التاريخ والرواية - بحث في العلائق

والمميزات -

المبحث الأول : تحديد مصطلح الرواية التاريخية وبحث أهم شروطها ومميزاتها :

1- تحديد مصطلح الرواية التاريخية:

تتفق أغلب التعريفات والتحديدات التي تقدمها لنا المعاجم والبحوث والدراسات المختصة بالجنس الروائي التاريخي، أي الرواية التاريخية، على أنها عمل سردي يرمي لإعادة بناء حقبة من الماضي وتصويرها بطريقة تخيلية، وفي متنها تتداخل شخصيات تاريخية حقيقية واقعية مع شخصيات متخيّلة من محض خيال المؤلف.

وتوصّل ألفرد شيبّار إلى تحديد مفهوم الرواية التاريخية : " قصة تتناول الماضي بصورة خيالية، يتمتع الروائي بقدرات واسعة يستطيع معها تجاوز حدود التاريخ، لكن على شرط أن لا يستقرّ هناك لفترة طويلة إلا إذا كان الخيال يمثل جزءاً من البناء الذي سيستقرّ فيه التاريخ"¹

وميزة الرواية التاريخية أنها تجعل من الماضي أو التاريخ مادة خصبة وموضوعاً خاصاً بها، مع ضرورة اقترانها بشرط التخيل والذي يشكل بدوره فنية الرواية التاريخية، ما يؤكد أنها " عمل فنيّ يتخذ من التاريخ مادة له، ولكنها لا تنقل التاريخ بحرفيته، بقدر ما تصور رؤية الفنان له وتوظيفه لهذه الرؤية قصد التعبير عن تجربة من تجاربه أو موقف من مجتمعه يتخذ من التاريخ ذريعة لقوله"².

يدل مصطلح الرواية التاريخية على أنّ التاريخية صفة للرواية، أي أنّ الرواية تفقد خصائصها لصالح التاريخ الذي يهيمن بخصائصه وميزاته على الرواية نفسها، ويطبعها بطابعه على مستويات البيئة والشخصيات وطريقة السرد.

¹ - الشمالي نضال، الرواية والتاريخ، بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط2006، م1، ص112

² - عبد الحميد القط، بناء الرواية في الأدب المصري الحديث، دار المعارف، مصر، ط1، ص33

" وكتّاب الرواية التاريخية يتناولون ذلك التاريخ بالتأويل والتحليل كلّ على حسب أهدافه الفكرية. وقد يحدثون شيئاً في المسار التاريخي لأن الأديب لا يكتب تاريخاً بل يكتب أدباً فيه خيال أدبيّ خلاق، بناء على مرجعية ثقافية وجمالية تناسب عصره، وقد يكون هدفه نهضوياً، إحيائياً لواقع معاش"¹

والمقصود بالقول السابق أنّه باستطاعة المؤلف الروائي أن يغيّر في المسار التاريخي، إما بحذف فترات تاريخية - أحداث تاريخية ثانوية- أو كشف لمراحل وأسرار تاريخية عُدت نقطة تحول فارقة في تاريخ دولة أو مجتمع ما تم التستر عن وقائعها وأحداثها لغايات سياسية وإيديولوجية. و يتمثل دور الكاتب هنا في كشف ورصد كل ما هو مخفي مستور في المجتمع الذي ينتمي إليه، إمّا بطريقة مباشرة جريئة أو بكيفية إيحائية رمزية غير مباشرة. وتتأتى الرواية التاريخية كنتيجة لامتزاج التاريخ بالأدب. فالتاريخ ما هو إلا حقائق مجردة لوقائع حقيقية تاريخية معيّنة، سواء تعلّق الأمر بالحوادث أم بالشخصيات، بيد أنّ هذا التاريخ المجرد يأخذ شكلاً جديداً مغايراً عندما تدخل عليه بنية أساسية من بنى الرواية المتعدّدة من مثل ركيّزتها المتمثلة في التخيل، بحيث يغدو عنصراً فنياً جمالياً من عناصر تكوين الرواية باعتبارها جنساً سردياً أدبياً متميّزاً.

يعرف جورج لوكاتش الرواية التاريخية بأنها: " رواية تاريخية حقيقية، أي أنها تثير الحاضر ويعيشها المعاصرون بوصفها تاريخهم السابق للذات"²، فهي ليست إعادة كتابة التاريخ، إنما هي إعادة تدوين الماضي - أي التاريخ نفسه - على نحو جماليّ بمراعاة شروط الجنس الروائي وأهمية ركائزه.

¹ - محمد بكر البوجي، روايات نجيب محفوظ التاريخية (بحث)، مجلة جامعة الأزهر، ع2، (غزة)، سلسلة العلوم الإنسانية، (2009) مجلد 11، ص 210.

جورج لوكاتش، الرواية التاريخية، تر: صالح جواد الكاظم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط2، 1976م، ص88.²

أمّا بيوكن، فإن الرواية التاريخية لديه هي: "كل رواية تحاول إعادة تركيب الحياة في فترة من فترات التاريخ" وقد أيد بعض النقاد هذا التعريف، كونه يبرز العلاقة بين ما هو روائي وما هو تاريخي، ف الشمالي نضال مثلاً يرى أن هذه العلاقة تتمحور في "أن لا تُغلب فنية الرواية التاريخية على حساب تاريخيتها"¹.

ويجمل محمد نجيب نظرتة للرواية التاريخية بالقول بأنها: "إعادة بناء خيالية للماضي، تتناول أساساً حياة جمع من الناس وعاداتهم وتقاليدهم"². وتجدر الإشارة هنا إلى تأكيد الشمالي على ضرورة عدم العبث بمجريات الماضي الأساسية، والمقصود بقوله تجنب التحريف أو التستر على وقائع الماضي الخاصة بمجتمع ما في فترة تاريخية معيّنة.

ومن أهمّ التحديدات التي ساققتها المعاجم اللغوية في محاولة وضعها لمفهوم شامل لهذا النوع الروائي المتمثّل في الرواية التاريخية، ما ساقه لنا معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب حين حددها بالقول: "سرد قصصي يدور حول حوادث تاريخية وقعت بالفعل، وفيه محاولة لإحياء فترة تاريخية بأشخاص حقيقيين أو خياليين أو بهما معا"³.

والمتصفح لما سقناه آنفاً من تحديدات وتعريفات لهذا النوع الروائي، يلحظ تعدد مفاهيم الرواية التاريخية وشروحاتها لدى النقاد الأجانب والعرب، إلا أنها تتفق جميعاً على اعتمادها التاريخ كمادة خام أساسية لقيام هذا النوع من الأعمال الروائية.

¹- الشمالي نضال، الرواية والتاريخ، ص 114.

²- المرجع نفسه، ص 115.

³- مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1986، ص 184.

وكإجماع للتعريفات السابقة، فالرواية التاريخية: " عمل فني يتخذ من التاريخ مادة له، ولكنها لا تنقل التاريخ بحرفيته بقدر ما تصوّر رؤية الفنان له وتوظيفه لهذه الرؤية للتعبير عن تجربة من تجاربه، أو موقف من مجتمعه يتخذ من التاريخ ذريعة لقوله"¹.

وبالتالي فالرواية التاريخية هي ذلك الشكل السردى الروائي الفنّي الذي تتقاطع فيه نقاطه الزمنية مع نقاط حقيقية معيّنة شرط التزام الروائيّ نفسه بجملته من الركائز والأسس الخاصة بهذا النوع من الكتابات الروائية.

2 . شروط الرواية التاريخية وميزاتها :

إذا كانت الرواية بشكل عام " تاريخاً متخيلاً داخل التاريخ الموضوعي"² حسب وجهة نظر محمود أمين العالم، فإنّ لنا أن نلتمس الخيط الذي يشد الرواية إلى التاريخ بالنظر لخاصية اشتراكهما بالعناصر الرئيسية المكونة للجنس الروائي: الإنسان، الزمان والمكان والقصة.

والرواية الأدبية نفسها تفرز أنواعاً روائية وإبداعية متعددة، لكل نوع روائي مجموعة خصائص وسمات تميّزها عن سائر الأنواع الأدبية الروائية الأخرى، من رواية اجتماعية ورواية واقعية وصنف آخر يعرف بالرواية التاريخية وغيرها من الأنواع. وإنّ لهذه الأخيرة علاقة خاصة بالتاريخ باعتباره مادة خام يؤسس الروائي بنياتها عليه. وهذه العلاقة الخاصة التي تربط الرواية التاريخية بالموضوع التاريخي، فالرواية التاريخية تشترك مع الرواية الأدبية بصورة عامة في خاصية وجود بنية تاريخية تتأسس عليها من فضاء وشخوص واقعية وأحداث مسيرة فاعلة، غير أنّ الرواية التاريخية تتطلق من أحداث وذوات مختلفة فتشكل جزءاً من تاريخنا وماضيها الممتد لغاية اللحظة الراهنة.

¹ - القط عبد الحميد، بناء الرواية في الأدب المصري الحديث، ص 33.

² - محمود أمين العالم، الرواية بين زمنيّتها وزمانها، مجلة فصول، ع:12، مجلد 1993م ، ص 13.

ولعل من بين أهم الشروط الجوهرية التي تتخذها الرواية التاريخية كمبدأ لا غنى عنه في تشكيل أركانها وأحداثها هو التزامها بالتاريخ البشري وإمكانية التصرف فيه، إما بحذف فترات تاريخية محددة أو بذكرها و الإتيان بها كلها وإضافة أحداث مخيلة إلى أركانها الحقيقية، بحيث تعمل الرواية على استكناه وحدة الجوهر الإنساني الثابتة عبر امتداد التاريخ في سبيل التقاط كل ما هو إنساني وأصيل وصادق، بعيدا كلّ البعد عن أيّ تشويه أو تزوير وتحريف في تاريخ الأمة.

ارتأى عبد الحميد القط إلى أن " كتابة الرواية التاريخية محفوفة بالمزالق لأن الشخصيات في التاريخ لها وجود محدد، أو بعبارة أخرى هي معدّة سلفا وكذلك الأحداث التاريخية والمكان والزمان وغيرها، وعلى الفنان أن يصوغها صياغة جديدة، لا أن ينقلها كما هي في التاريخ. وهذا العمل هو الذي يجعل اتخاذ التاريخ مادة للرواية عملا مشروعاً¹، ويشترط في صياغة المادة التاريخية محافظتها على كنهها وجوهرها وواقعيتها التاريخية.

ولمّا كانت الرواية التاريخية ترى في التاريخ المنبع الثريّ والجوهر الأساس والمعين من حيث أنّه يدعم العمل الروائي " بالمادة الحكائية التي يشكلها المبنى"² ما يجعلها " ممتلئة لخطاب يعتمد تجربة التخيل وقيم - رغم ذلك - علاقة يريدتها حقيقية مع التاريخ، فيغدو موضوع التخيل هو التاريخ"³ باعتباره مرجعا وموضوعا وواقعا يحدده الروائي سلفا كقاعدة لبناء روايته التاريخية.

شرط آخر للرواية التاريخية فحواه أنّها تعتمد على مرجعيتين في بناء العمل. أولاهما: مرجعية حقيقية متصلة بالحدث التاريخي (الحكاية)، وثانيهما: مرجعية تخيلية (روائية)

¹ - عبد الحميد القط، بناء الرواية في الأدب المصري الحديث، ص 33.

² - نضال الشمالي، الرواية والتاريخ، ص 109.

³ - عبد الفتاح الحجمري، هل لدينا رواية تاريخية، مجلة فصول في النقد، القاهرة، ع 3، شتاء 1997،

مقترنة بالحدث الروائي، فإنّ المرجعية الأولى مرجعية نفعية والمرجعية الثانية جمالية فنيّة، ما يؤكد ويدعم صحّة فكرة أنّ الرواية التاريخية تتخذ من التاريخ موضوعا إبداعيا لها انطلاقا من الخطاب التاريخي نفسه، شرط ألاّ تستنسخه بل تجري عليه ضروبا من التحويل حتّى تخرج منه خطابا جديدا، له مواصفات خاصة ورسالة تختلف اختلافا جذريا عن الرسالة التي جاء التاريخ مضطلعا بها¹. بمعنى أنّ النوع الروائي التاريخي يضطلع بمهمّة إيصال رسالة جديدة خاصة مغايرة عن تلك الرسالة التي جاءت بمجيء التاريخ نفسه." وبهذا الأفق تقتضي الرواية التاريخية وجود واقع تاريخي (الجوهر) كامن وراء إنتاجات تخيلية روائية².

ويذهب الباحث المغربي سعيد يقطين في تحديده وإحاطته بالنوع الروائي التاريخي إلى التأكيد على ركيزة التخيل الروائي باعتبارها المرجع الثاني المساهم في بناء العمل الروائي التاريخي، بحيث يعرفها كونها: " عملا سرديا يرمي إلى إعادة بناء حقبة من الماضي بطريقة تخيلية (جمالية)، حيث تتداخل شخصيات تاريخية مع شخصيات متخيّلة، وإننا في الرواية التاريخية نجد حضورا للمادة التاريخية لكنها مقدّمة بطريقة إبداعية وتخييلية³، مؤكدا في الآن ذاته على شرط اقتران المادة التاريخية أي موضوع الرواية التاريخية بعنصر التخيل الذي يمدّ هذه الأخيرة رونقا وجمالا فنيا خاصا.

إن الرواية التاريخية إذن عمل فنيّ جمالي من إبداع مخيّل المؤلف، "ينهض على أساس مادة تاريخية، ولكنها تقدّم وفق قواعد الخطاب الروائي (القائم على البعد التخيلي مهما كان واقعا أو حقيقيا). وهذا التخيل هو الذي يجعلها مختلفة عن الخطاب

¹ - عبد الله إبراهيم، التخيل الروائي، السرد والإمبراطورية التجريبية الاستعمارية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2011 م، ص 9 .

² - عبد الفتاح الحجمري، هل لدينا رواية، ص 62 .

³ - سعيد يقطين، قضايا الرواية العربية الجديدة، الوجود والحدود، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2011 م، ص 159 .

التاريخي¹ فهو بمثابة النيمة الجوهرية التي تميزها عن الخطاب التاريخي الموثق، والعنصر المهم لإثبات أدبية الرواية التاريخية وجماليتها. فالتخييل جوهر الكيان التكويني للأدب والإبداع الروائي على الخصوص، واشتغال لغوي له خصوصياته وتمفصلاته البنائية والدلالية، فهو يشتغل على المستوى الفني الجمالي في اللغة الروائية.

والرواية التاريخية ليست تاريخا، لأن شغلها الشاغل التعامل مع ذلك التاريخ والاستنباط والتغذي منه باعتباره مرجعا جوهرًا لتنمية بناء النوع الروائي، ويشترط في هذا التاريخ أن يجتمع مع مجموعة من الركائز الفنية البنائية الأخرى التي تساهم في ولادة مشروع المبدع الروائي.

والتعامل المسبق للرواية التاريخية مع التاريخ، يفرض عليها حدودا وقيودا تؤطر صلاحياتها ومجال اشتغالها سعيا لبنائها، وهذه الحدود نفسها تضمن لها البقاء في حدود طبيعتها الفنية، وعدم الوقوع بالتالي في فخ تحولها لكتاب تاريخي يوثق لمرحلة زمنية من المراحل التاريخية للإنسان والمجتمع على حدّ سواء، وهذه الحدود نفسها هي التي تميزها أيضا عن سائر أنواع جنس الرواية.

ومن شروط الرواية التاريخية أن تستعير من التاريخ وتتهل منه باعتباره منبعًا يسهم في تشكيل العملية الإبداعية (الرواية التاريخية)، وتنتقي من التاريخ ما يلائمها ويعينها دون أن تتلاعب بسياقه ودلالاته الواقعية وحقائقه الموثقة وتجنّب تزويره.

وفي ذلك يقول نضال الشمالي: " أن الرواية التاريخية تعتمد الزمان الموثق والمكان المحدد والحادثة المعرفة، فتستثمر جهد المؤلف الذي حقق الواقعة، وتتقاطع معه في الوقت ذاته"²، ولعل هذا ما يمنح إمكانية تفسير ذلك التاريخ حسب وجهة نظر المؤلف

¹ - ينظر: سعيد يقطين، قضايا الرواية العربية الجديدة، ص159.

² - الشمالي نضال، الرواية والتاريخ، ص115.

نفسه، وهو ما يبرز لنا ميزة مهمة الرواية التاريخية في تحقيق التاريخ ومحاولة تجديده وبعث ماضيه ووقائعه فربطه بالواقع الراهن المعيش، مما يضمن له الاستمرارية والحياة لأقصى مدة زمنية ممكنة.

ويسوق الشمالي، في ذات السياق، مجموعة من الشروط للرواية التاريخية، عدّها بمثابة البنية الجوهر التي تعلي من شأنها بين سائر أنواع الجنس الروائي وتضمن لها البقاء والاستمرارية. وهي كالتالي¹:

1- اعتماد حقبة تاريخية موثقة تمثل مادة حكاية وموضوعا لها.

2- أن تكون هذه المادة بمثابة القاعدة والعمود الفقري الذي يقوم على بنيانه العمل الروائي التاريخي.

3- إعادة تشكيل الروائي المبدع لهذه المادة التاريخية نفسها تشكيلا وتكويناً روئياً فنياً وبنائها بنياناً تخيالياً صحيحاً.

4- أن تكون إعادة التشكيل وفق منظور آني يربط المادة الحكائية الماضية بالحاضر المعيش وأزماته ووهناته، سعياً لبحث حلول لمعالجة مشاكل الإنسان وواقعه الراهن.

5- أن تنطلق الرواية التاريخية من وجهة نظر تخصّ الروائي لوحده بغية منه لتحقيق غايات متعدّدة.

ومجموعة الشروط آنفة الذكر تفعل فكرة بناء عالم موازي هو نفسه عالم الرواية، يفرغ فيه المؤلف المبدع عواطفه وأفكاره ومساعيه لتحقيق إرادته فيه بخصوص واقع معيش لا يرحم ولا يرضي كينونته ووجوده، عالم أليم لا يحقق رغباته وأمانيه، فيجد في عالم الرواية بديلاً يحقق فيه مساعيه وكينونته لبلوغ المثالية، بعيداً عن الواقع الراهن الأليم.

¹ - الشمالي نضال، الرواية والتاريخ، ص 115 .

أما فيما يتعلّق ببناء الرواية التاريخية وشخصياتها، فيقول الناقد بوينديا BUENDIA: " لتحديد الرواية التاريخية بالمعنى الدقيق للكلمة، نعني القول ببساطة أنّ العمل الروائي يتكشّف في الماضي، شخصياتها الرئيسية خيالية، في حين أنّ الشخصيات التاريخية والوقائع الحقيقية تشكل عنصرا ثانويا من القصة"¹، كميزة فنية لهذا النوع الروائي الذي يعتمد فيه الروائي على حادثة تاريخية موثقة ويستعملها بتناول شخوصها وبيئتها الزمانية والمكانية، فيعيد صياغتها على نحو فنيّ خياليّ وتشكيل بنيانها العام للتعبير عن رؤيته - الكاتب - وفكره وعاطفته في العصر والمجتمع اللذين يعيش فيهما معا.

والدارس لهذا النوع الروائي يتوصّل لفكرة مفادها أنّ الرواية التاريخية ليست مجرد رواية، أو نقل ووصف للأحداث الإنسانية والوقائع التي تتعلّق فقط بالحياة العامة للناس، إنّما تهدف إلى إعادة بناء أسلوب الحياة الماضية وتجديده. فغاية المؤلف الروائي ونيته في استغلاله للمادة التاريخية هو رفع مستوى الوعي بذلك الأسلوب واستيعابه لمعالجة ما ينجرّ في زمنه هو من عوائق ومشكلات وحتى أزمات اجتماعية، سياسية، من خلال فضح المسكوت عنه في التاريخ الرسمي، وكشف خباياه وأسراره ومفاجعاته بالنظر لبروز الفاقة الأخلاقية والثقافية للمجتمعات العربية، والتأخر المشهود في ميادين التطور المتعلقة بحياة عامة الناس.

وبالعودة لشروط الرواية التاريخية، تأتي الشخصيات بنوعها في المرتبة الثانية، سواء ما تعلّق منها بالشخصيات التاريخية الحقيقية الواقعية أو المتخيّلة، فالنوع الأول - الشخصيات التاريخية الحقيقية - تفرض على الروائي الالتزام بحقيقة وجودها وتفادي العبث

¹ - Mota Indoria, Carlos Brief Definition and characterisation of a historical Nowel, University of Navarra, translation for culturahistorica, 2009, p01.

بأشكالها وملامحها وتفاصيلها، فما عليه إلا "أن يقف أمامها مطيعاً، فأى مخالفة بحق الشخصيات التاريخية تفقد العمل مصداقيته على مستوى الحكاية"¹.

يلجأ الروائي، باعتبار ما سبق، لخلق نوع جديد من الشخصيات والمتمثّل في النوع الثاني - الشخصيات التاريخية المتخيّلة - التي تمنحه القدر الكافي من الحرية، يبيث فيها إيديولوجيته وأحلامه الخاصة، وبذلك تثير قريحته وعاطفته وتمنع عنه القيود في محاولته لبناء عالم تخيلي روائي خاص.

ولا شك أن النوع الأوّل من الشخصيات يحدّ من إبداع الروائي في تشكيله لمعالم روايته التاريخية. وهو ما أقرّه فوستر مبدياً رؤيته حولها قائلاً: "ولما كانت الشخصية التاريخية جزءاً لا يتجزأ من المادة التاريخية، فإنها تقلل من حرية الفنان الروائي، إذ لا بدّ لهذه الشخصية أن تحتفظ بالقدر الكافي المميز لها بوصفها شخصية عاشت في حقبة زمنية معيّنة، وذلك حتى لا يكون ثمة تصادم وتنافر بين الشخصيتين، التاريخية عموماً والروائية المأخوذة عنها"².

والنوع الثاني يتيح فرصاً تخييرية وحرية واستقلالية أكثر للروائي في عملية بنائه مشروعه الروائي وخلق عالم روائي تخيلي خاص، فيصّب في تلك الشخصيات المتخيّلة جلّ أفكاره وعواطفه ورؤاه وينسج وفقها التفاصيل الحقيقية لهذا النوع من الشخصيات الروائية التاريخية على وجه الخصوص. "فالرواية جنس مختلط، تجمع بين محكي السارد وحوار الشخصيات التي تتكلم كلّ واحدة منها لغة مناسبة لوضعها الاجتماعي ولمزاجها"³ أي

¹ - الشمالي نضال، الرواية والتاريخ، ص 130.

² - المرجع السابق، ص 130.

³ - فاليط برنار، النص الروائي تقنيات ومناهج، تر: بنحدو رشيد، المشروع القومي للترجمة، دمشق، سوريا، 1999، ص 24.

مزاج الروائي ووضعه الاجتماعي الخاص، في محاولته تفسير أحداث زمانه وتقديمه لصورة المجتمعات الحقيقية دون تزوير أو إخلال في ذلك، ويجعل تاريخها بمثابة الدرع الواقى الذي يختبئ داخله من عس السلطة وقيودها، سلطة مالكة للتاريخ الرسمي البليد الذي يتمرد عليه الروائي نفسه بأسلوبه الخاص وبإيحائية ورمزية غير مباشرة.

وفي العموم، تعدّ الشخصية بنوعها العمود الفقري الذي تهيكل وفقه الرواية، والشريان النابض لقلبها، فهي تصطنع اللغة وتثيرها، وتثبت الحوار، ولا تقوم الأحداث إلا بها لكونها دعامة من دعائم بناء العمل الروائي وعناصره. وقد قسمها فيليب هامون في مؤلفه - سيميولوجية الشخصيات الروائية - إلى ثلاث فئات، حددها كالتالي: شخصيات إشارية، شخصيات استذكارية، وشخصيات مرجعية.

وتتضمن الفئة الثالثة الشخصيات التاريخية والمجازية والأسطورية وكذا الاجتماعية، وهذه التحديدات تبين لنا الدور الكبير الذي تؤديه الشخصية بتنوعها في خلق معمار النصّ الروائي وكذا تسيير الحدث الروائي.

وبتحديدنا لعنصر الشخصية، يأخذنا الحديث لعنصر لا يقل أهمية عنه، والمتمثل أساسا في نوع اللغة التي تتحدث بها شخصيات العمل الروائي التاريخي وتتواصل من خلالها. وبحكم أن الرواية تاريخية فإنّ اللغة تتوافر على مصطلحات تاريخية شرط ألا يبالغ الروائي في استخدام لغة الفترة الزمنية التي يصف أحداثها ووقائعها، إنّما عليه التودد إليها فقط، " لأنّ استلهاام لغة الحكاية من زمنها قد يقطع الوصل بين المتلقي والمرسل، وهذا يفقد اللغة وظيفتها التواصلية والتفاعلية"¹. وبذلك يتحتّم على الروائي استخدام لغة معاصرة بالرغم من قدم المرحلة الزمنية التي يعالجها ويفسر أحداثها.

¹ - الشمالي نضال، الرواية والتاريخ، ص 132.

والأمر المثير في اعتماد التاريخ كمنبع يسقي الحقل الروائي، هو إمكانية استخدام المادة التراثية والتعامل معها، فمن الروائيين من "يغذي روايته بجملة من التعبيرات التراثية التي لا تزيد عن اللغة المعاصرة الشائعة، فيوهنا أننا أمام عمل نفذ في زمانه"¹، وهذه جمالية من جماليات التعامل مع التراث بأنواعه، فاعتماده يولد في نفس المتلقي القارئ حسّ الانتماء لتلك المرحلة الزمنية التي يعالجها الروائي.

ومن الروائيين من توصل لاستعمال اللغة العامية كمادة تراثية شعبية في الحوار اليومي للشخصيات بالنظر للتطور الحاصل في الرواية التاريخية وظهور تقنيات جديدة أسهمت في تطور هذا النوع من الروايات. وهذا الأمر تحسناه في الرواية الجزائرية عموماً، ولدى الحبيب السائح بصورة خاصة، بحيث إن رواياته التاريخية من مثل: كولونيل الزيربر، أنا وحاييم وغيرها، تتمّ عن اعتماده المادة التراثية من لغة عامية تخللتها أمثلة شعبية مشهورة، وشخصيات تاريخية فاصلة في التاريخ الجزائري، ومراعاته لها في استخداماته اللغوية لخدمة العمل الروائي، وتسهيل تبليغ رسالاته من خلالها سواء للسلطة الرسمية أو لفئات الشعب المختلفة .

المبحث الثاني: علائقية الرواية بالتاريخ وطموحات الرواية التاريخية وعوامل ظهورها.

1 . علائقية الرواية والتاريخ :

بما أنّ الرواية بنية سردية إبداعية تعمل على استكناه وحدة الجوهر الإنساني الثابتة على امتداد التاريخ، فهي إذ ذاك تقوم بإدخال نظرة علوم الاجتماع والتاريخ والفلسفة وحتى علم النفس، فتدرس من خلال هذه العلوم أعماق النفس البشرية وكيانيتها التاريخية والاجتماعية عبر فترات من الزمن التاريخي.

¹ - المرجع نفسه، ص 133.

والتاريخ ما هو إلا مجموعة حقائق مجردة لها وجود محدد، أُعدت سلفا للاستفادة منها. وبمجرد دخول هذه الحقائق التاريخية الموثقة في إطار العمل الأدبي الروائي على وجه الخصوص، تتحوّل المادة التاريخية إلى عنصر أدبي روائي راق، شرط التزام الروائي حقائق التاريخ الكبرى دون تغيير أو تزييف بالنظر للحبكة والشخصيات المتخيّلة التي يبتدعها، وهي نفسها الفكرة التي أكّد عليها الناقد لوكاتش في مؤلّفه (الرواية التاريخية) حيث يقول: " يجب أن تكون الرواية أمينة للتاريخ بالرغم من بطلها المبتدع وحبكتها المتخيّلة"¹. والروائي في استلهامه للتاريخ يعيد ترتيب الأشياء وتوزيع الأدوار على الشخصيات بتتوعها، لإثبات رؤيته وتأصيلها والتي يقيم بناءها في معماره الروائي.

والتاريخ في آخر المطاف ما هو إلا منظومة أحداث وتمثلات لواقع قائم متجه نحو الماضي، والتعامل معه باعتباره مكوّنًا روائيًا لا يعني بالضرورة اعتماده بديلا للتخييل الروائي، إنما يتّخذ شكلا جديدا عندما يدخل في البناء الروائي ممّا يتيح له التجدد في كلّ عصر.

والعلاقة بين الرواية كجنس أدبي تخييلي إبداعى، والتاريخ كأحداث وحقائق موثقة حقيقية، هي علاقة يتمّ في ضوئها تمثّل البؤرة السردية المتمثلة في الشخصيات والزمان والفضاء، فاعتماد الرواية الحدث التاريخي لا يعني كتابة التاريخ بطريقة روائية فحسب، بل قد يتيح لها التعبير عمّا لا يقوله التاريخ ويصرّح به.

الرواية والتاريخ إذن عنصران متكاملان، فـ " لا تاريخ بلا قصّ "². وهذا مما يؤكد ضرورة إضفاء البنية القصصية أثناء تناول الحدث التاريخي، فالعلاقة بينهما وطيدة ومتماسكة بالرغم من موضوع كلّ منهما، حيث إنّ التاريخ يستتق الماضي، وهدفه البحث عن الحقيقة وبلوغها، في حين أنّ الرواية تتخذ منه منهلا وتستعلم مجرياته وأحداثه بتقنيات

¹ - جورج لوكاتش، الرواية التاريخية، ص 215.

² - فريال جيوري، الرواية والتاريخ، مجلّة فصول، العدد 2، مجلد 2، القاهرة، 1982، ص 293 - 294.

فنية وجمالية. ولعلّ أهمّ هذه التقنيات: السرد بوصفه طريقة وتقنية خاصة يعتمدها الروائي لنقل الحادثة التاريخية من صورتها الواقعية إلى صورتها اللغوية وتقديمها للجمهور المتلقي في صورة فنية إبداعية، وبالتالي فالتاريخ نقل لوقائع، والرواية سرد يثير أحداثاً ماضية سابقة الوقوع.

ولا غرابة في أن الرواية والتاريخ يفيد كلّ منهما الآخر ولو استدعى الأمر أن " يوزع علم التاريخ والرواية على موضوعين مختلفين، يستنطق الأول الماضي ويسائل الثاني الحاضر، وينتهيان إلى عبرة وحكاية، بيد أنّ استقرار الطرفين منذ القرن التاسع عشر في حقلين متغايرين، لم يمنع عنهما الحوار، ولم ينكر العلاقة بين التاريخ والإبداع الأدبي"¹ ممّا يشكل ويبني مبدأ الحوارية والترابط بينهما.

وكتحديد شامل، فالتاريخ لا يكون تاريخاً إلا عندما يكون في حقله ونظامه الذي وجد من أجله، وأما الرواية فهي: " الفنّ الذي يؤرخ سردياً للتقلّبات والانهيّارات والانقسامات السرية والمطمورة التي تعجز تلك الفلسفة عن ملامستها وتنظيمها"² ، فالرواية ندّ للتاريخ وتابع له في الآن ذاته، ومن ثمّة تبدو العلاقة بين الرواية والتاريخ علاقة بين حقيقتين، فنية وموضوعية؛ فالأمانة والموضوعية هاجسان يصبو إليهما التاريخ، وحينما يتعلق الأمر بالجنس الروائي، فلا حرج للروائي في كسر قاعدة الأمانة والموضوعية واجتياز الحواجز التي أقامها القائمون بأمر التاريخ، وبالتالي يتيح للروائي فرصاً لخلق وتخيل وابتداع عالم روائي ذي حوادث وشخصيات وعلاقات في زمان ومكان محددين. أما المؤرخ فيتوجب عليه الانصياع لمرجعية التاريخ وهي نفسها الحقيقة الموضوعية للواقع الذي يؤرخ له.

¹ - فيصل دراج، الرواية وتأويل التاريخ، نظرية الرواية والرواية العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، 2004، ص 404.

² - فيصل دراج، الرواية و تأويل التاريخ، ص 405.

ولعل الشيء الذي يربط بين كل من التاريخ والجنس الروائي، هو النوع التاريخي الروائي، وما يعرف بالرواية التاريخية بعدها تاريخاً متخيلاً خاصاً داخل التاريخ الموضوعي. ومن هنا يتضح لنا وجود ارتباط فطري بين التاريخ والفن الروائي، إذ إن كليهما يعمل على سرد الأحداث بشكل قصصي. ولوجود هذه العلاقة بين الفن والتاريخ سعى الكتاب لقراءة هذا المصدر الثري وهضم صورته وصياغة موضوعاته صياغة حية متجددة لتغدو وسيلة للتعبير عن ذواتهم .

2 . أسباب وعوامل ظهور الرواية التاريخية:

لم يتأت هذا النوع من الكتابات الروائية من اللاوجود، وإنما ظهر بظهور أوضاع استثنائية سواء ما تعلق منها بالميدان السياسي والاجتماعي أو الاقتصادي والثقافي. فكلها ميادين وانشغالات وأوضاع خاصة ساهمت في ولادة هذا الجنس الروائي التاريخي وحتى تطوره.

والمتتبع لمسيرة القص العربي وتاريخه وبداياته، يلاحظ أنّ البدايات الأولى لهذا الفن أغلبها كانت مع الروايات التاريخية، حتى تحوّل بعض كتابها إلى أنواع أخرى على غرار نجيب محفوظ وغيره.

وبما أننا بصدد عدّ بعض من العوامل والمؤثرات التي حفّزت على ولادة هذا النوع من الكتابات الروائية، ينبغي لنا أن نشير إلى حقيقة استعصاء وعدم قابلية تعميم هذه الدوافع على مجموع الأدباء والروائيين المهتمين بتأليف الرواية التاريخية، فكلّ أديب دوافعه وغاياته، ولكلّ مرحلة ظروفها الاستثنائية. فأسباب ظهور الرواية التاريخية في لبنان مثلاً تختلف عن عوامل إيجادها في البيئة المصرية، لكن يمكن لنا ذكر بعض الدوافع شرط عدم تعميمها وهي:

1- الدافع القومي، وهو الدافع الأول بالنظر لظروف الحياة السياسية التي كانت تمرّ بها البلاد العربية في تلك الفترة التاريخية ووعي الكتاب واستيعابهم لضرورة إيقاظ هذه الأمة، بإحياء أمجاد الماضي وبعث النقاط والمراحل المضيئة في تاريخنا وإبرازها، ويبدو أن هذا الدافع قد وجد عند الكتاب وبعض الروائيين بنسب متفاوتة، وقد ينعدم عند بعضهم الآخر¹.

2- الدافع التعليمي والتثقيبي بغية تعليم وتلقين عامة الناس التاريخ من خلال التاريخ له ولقصصه الحقيقية في قوالب وبناءات قصصية فنية ممزوجة بعوالم تخيلية، بهدف التقليل من جفاف المعلومة التاريخية، وبالتالي تقريبها من ذهن القارئ المتلقي وخلق عنصر التشويق لديه. وقد ورد هذا الدافع عند كثير من كتاب الرواية الأوائل وأعلنوا عنه بالنظر للقيمة التثقيفية والتعليمية التي تحملها رواياتهم التاريخية، وخاصة جورجى زيدان الذي كان يحلو له أن يصدر به أغلب رواياته².

3- وكانت "سهولة التشكيل الفني للمادة التاريخية دون أن يواجه الكاتب بمعاناة الخلق الكامل لعمله"³، بمثابة الدافع الفني الذي استحسنته الكتاب الروائيون، والعامل الذي ردّ إليه الدارسون والنقاد لجوء أغلب الروائيين لبدء التأليف والإبداع في الرواية التاريخية، ولعلّ القول بسهولة الخلق الفني قد تغري كتابا كثر للتصدي للتجربة الروائية.

4- وكناتج للظلم والقمع الذي ظلّ يمارس على الفكر والأدب لسنوات طوال جاء الدافع الأمني الذي دفع بالكتاب للاستقاء من المادة التاريخية واللجوء للتاريخ المحفول بالوقائع والأحداث المركزية، واستخدموه كغطاء يرمز للحاضر المعاش وأسقطوا مشكلات العصر على جوّ الرواية التاريخية، بحيث يستمد الكاتب تجربته الاجتماعية والسياسية

¹- ينظر: عبد الجواد المحمص، روايات جورجى زيدان "دراسة تاريخية"، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 2004م، ص39

²- ينظر: جورجى زيدان، مقدمة رواية "الحجاج بن يوسف"، الطبعة الثانية، 1909، ص1.

³- شفيق السيد، اتجاهات الرواية المصرية، مكتبة الشباب، القاهرة، ص12.

ويخلعها على بيئة تاريخية¹. وكان هذا الأخير سببا للجوء الروائيين والأدباء العرب والمسلمين على وجه الخصوص للرواية التاريخية، وإبراز فترات الظلم . التي عانى منها الأدب . ومقارنتها بالحاضر الراهن ردًا لقيمته وإعلاءً لشأنه بين العلوم الإنسانية حديثة الظهور .

3 . آفاق وطموحات وأهداف الرواية التاريخية المعاصرة:

لجأت الرواية العربية في العصر الحديث غالى التاريخ، واعتمدت عليه لبناء أركانها ومواضيعها واعتبرته مادة خام أساس تغذي الرواية التاريخية بمواضيع وقضايا جمّة، حتى عدّ هذا النوع من الكتابات الروائية وسيلة عند الروائيين والمبدعين لتحقيق مجموعة من الغايات والأهداف العلمية وطموحات أخرى لم يتسنّ لهم تحقيقها على أرض الواقع، لاستعصاء الأمر عليهم ولضغوطات السلطة الرسمية من جهة أخرى.

وقد ترتبط بعض هذه الأهداف والطموحات بالروائي المبدع أو بالقارئ المتلقي، فيما يرتبط بعضها الآخر بالواقع العربي المأزوم المعقّد والذي يعاني الكثير نتيجة للضغط والقهر السياسي والاجتماعي والثقافي المسلّط من قبل السلطات الرسمية الحاكمة.

وكمحصلة لذلك، وجد الروائيون العرب في الرواية التاريخية المجال الخصب والسائح للتعبير عن أفكارهم السياسية وآرائهم الاجتماعية والثقافية المختلفة، وعمدوا لارتداء التاريخ كقناع لمحاكمة الواقع ومساءلته للتوصّل للحلول المناسبة لمعالجة الأوضاع الراهنة، على نحو ما قام به الحبيب السائح في روايته التاريخية كولونيل الزيرير موضوع بحثنا. وكان ذلك نتيجة لأسباب متعددة من أهمّها: الخوف من بطش الأنظمة الحاكمة في البلاد العربية، أنظمة ذات حكم شمولي مستبدّ تضيقّ على الحريات والمعارضين والمخالفين لها، وسبب

¹ - ينظر: محمد حسن عبد الله، الواقعية في الرواية العربية، الهيئة المصرية للكتاب، 1991، د ط، ص

آخر عائد لامتلاء وغنى التاريخ العربي والإسلامي بأمتلئة ونماذج كثيرة متقاربة مع الواقع في العصر الحديث والمعاصر.

ولعل هذا ما يسهل على الروائي الكاتب في بداية حياته الأدبية الروائية أن يستقي من التاريخ المادة الأساسية لرواياته من أحداث وشخصيات وزمان ومكان، ويشبع رواياته التاريخية بمواضيع ونقاشات شتى، وما عليه إلا إعادة صياغة هذه المادة التاريخية وتشكيلها بإضافة بعض المجريات والوقائع، وكذا الشخصيات المتخيّلة لإبراز فنية الرواية التاريخية. ف" وظيفة الروائي التاريخي لا تقتصر على إعادة تسجيل الحقائق التاريخية ونقلها إلى القارئ، فهذه مهمة وثائق المؤرخ وسجلاته، وأما وظيفة الروائي التاريخي فتكمن في اختياره من تلك الوثائق والسجلات ما يمثل امتدادا لواقعه وحاضره، وله صلة بواقعه وبقضايا مجتمعه الراهنة، بما يعيد ذهن القارئ إلى تلك الصلة التي تشدّ الرواية التاريخية إلى الحاضر، على الرغم من توغّلها في الماضي"¹.

وكلّ هذا يتحقق باتخاذ من التاريخ ستارا وقناعا لمعالجة قضايا الواقع المتأزّمة. والمنتبّع للنّاتج الروائي للقرن التاسع عشر يلحظ التوجه التثقيفي والتعليمي للرواية التي كانت تهدف إلى تسلية جمهور القراء وإمتاعه، غير أنها سلكت منحى آخر بظهور الرواية التاريخية، " وقد اتجهت الرواية نحو التاريخ الوطني أو القومي أو العربي أو الإسلامي، لتستلهم الوجه الحضاري للمجتمع، أو الأصول التاريخية له أو الأبطال الثوريين الذين عملوا على تغيير الحياة في ماضي أيّامه"². مما أسهم في رواج نوع جديد من الكتابات الروائية أي الرواية التاريخية.

¹ - مريم فريحات، التجليات الملحمية في رواية الأجيال العربية، وزارة الثقافة - الأردن، ط1، 2005، ص 59.

² - سيد النساج، بانوراما الرواية العربية الحديثة، ط1، دار المعارف - مصر، 1980، ص45.

والروائي بدوره يجد نفسه مضطرا لمخاطبة الحاضر من خلال الماضي التاريخي عبر استنطاق التاريخ وأحداثه، فيمثل بذلك مجالا رحبا وواسعا للتعبير عن نفسه من خلال الرواية التاريخية، هروبا من الواقع العربي المهزوم سياسيا واجتماعيا وحضاريا، بالنظر لأحوال البلاد العربية خلال القرن العشرين من استعمار واضطهاد وجهل وتخلف وغيرها.

كلّ هذا دعا الروائيين العرب للعودة إلى فترات المجد والقوة في التاريخ العربي الإسلامي على وجه الخصوص، لإحيائها وبعثها من جديد، وضرورة الدعوة إلى الثورة والتغيير والتجديد، تحقيقا وإنجازا لمهمتها وطموحاتها الاستشراقية، دون أن نتناسى الجانب الإبداعي الفني لها، أي للرواية التاريخية التي تعمل على إعادة صياغة التاريخ وشخصياته صياغة متجددة، وتقديمه للقراء بطرق فنية إبداعية جديدة وحذاقة مشوقة، تظهر ما لم تظهره كتب التاريخ. فليس كلّ ما ورد فيها صحيحا، فقد يشوب هذا التاريخ بعض التزييف والتكتم، وسعت بذلك مدارس الحداثة لهدم الماضي والتشكيك في حقائقه.

و: "المؤرّخ لا يسعى للاحتفاء بالتاريخ ولا يسعى لإبهار الجمهور - وظيفة الروائي- لأن ذلك ليس من بين أهدافه الرئيسية، ولكن يبقى هدف المؤرخ الرئيسي هو الحقيقة، أما الروائي فيعمل بحرية لا يتمتع بها المؤرّخ. فعلى العكس من التاريخ الذي ينبني على الحقائق وحدها يستطيع الروائي إضفاء رؤيته الخاصة بتوسع في اتجاهات مختلفة، مستخدما كلّ الوسائط الممكنة لجذب القارئ، فيضفي على عمله ما لا تستطيع الحقيقة وحدها أن تقدّمه"¹.

فخلخلة الثوابت والنظم التي وضعتها ورسختها القوى الحاكمة لمصالحها الخاصة هو الطموح الذي عملت الرواية التاريخية لتحقيقه من خلالها بالملائمة بين حقيقة التاريخ وحرية

¹ - حبيب مونسي، عندما تطمح الرواية في أن تكون بديلا للتاريخ، قراءة في رواية الأمير لواسيني الأعرج، facebook.com، 2009/12/01

المتخيّل الفنّي لتجنّب صيرورة التاريخ عرضة للتشويه والتحريف، ومن دون طمس للثوابت والرواسخ الإنسانية.

ويتّضح لنا مما سبق التأثير الكبير للرواية التاريخية وأهميتها، فهي عدا ارتباطها بالماضي تعبّر عن الحاضر الراهن والمستقبل أيضاً، وتسهم بذلك في وضع رؤى جديدة لمستقبل أفضل من خلال العودة للماضي واستيقاء ما يفيد الأجيال القادمة منه، وتعيد الرواية التاريخية بذلك رسم الحياة من وجهة نظر مختلفة.

المبحث الثالث: التخيل الروائي.

1. تحديد المصطلح :

إن أي عمل فني هو نتاج خيال خلاق، غير أن هذا الخيال يختلف من فنان إلى آخر ومن نوع أدبي إلى آخر، بحيث يكون لدى الكاتب الروائي المبدع أقرب للواقع، ويرجع ذلك لكون المادة الروائية تتجذر في الواقع المعيش، باعتبار الرواية "نصاً لغوياً تخيالياً مركباً بمرجعيات وتيارات"¹.

وقد أثرت قضية التخيل *la fiction* في الثقافات القديمة عموماً، ولعل الفكر الفلسفي اليوناني على وجه الخصوص كان أول من تطرق إلى هذا الإشكال الإبداعي وذلك من خلال مفهوم المحاكاة²، حيث عده أرسطو الركيزة الأساسية في إعادة إنتاج الواقع بطرق شتى، فحسب وجهة نظره فإن الأديب حين يحاكي لا ينقل فقط، بل يتصرف في هذا المنقول، وذهب إلى أبعد من ذلك حين قال بأن: "الشاعر لا يحاكي ما هو كائن، ولكنه

¹ - شعيب حليفي، المتخيّل والمرجع، سيرورة الخطابات، مجلة فصول في النقد، القاهرة، ع 66، 2005، ص232.

² - ينظر: سعيد جبار، من السردية إلى التخيلية (بحث في بعض الأنساق الدلالية في السرد العربي)، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2013، ص40.

يحكي ما يمكن أن يكون أو ما ينبغي أن يكون بالضرورة والاحتمال"¹، ونجده كذلك يضع حدوداً أولية بين البنائين الواقعي والتخييلي بمقارنته بين الشعر والتاريخ.

وبالانتقال لتاريخ و نشأة التخييل في الفلسفة العربية والإسلامية، نجد حضوراً قوياً لمفهوم التخييل، بحيث ناقشه علماء من مثل ابن سينا وابن رشد والكندي وغيرهم من خلال طرحهم لمفهوم الشعر، وقد استفادت البلاغة العربية كثيراً من التصورات الفلسفية لمفهوم التخييل وأعطائها نوعاً من الخصوصية والتميز .

وقد لخص لنا الباحث العربي سعيد جبار بعض النقاط المهمة التي سجلها عبد القاهر الجرجاني حول مفهوم التخييل في كتابه "أسرار البلاغة" وهي كالآتي² :

- يرتبط التخييل عند عبد القاهر الجرجاني بالكذب المطلق والخداع.
- يأتي التخييل على مراتب حسب قربه أو بعده عن الحقيقة.
- التخييل مُكون بلاغي أقوى من التشبيه والاستعارة.
- ارتباط التخييل بالشعر مثله مثل سائر المكونات البلاغية الأخرى.

وإذا ما عدنا للجزر اللغوي "خيل" في معجم لسان العرب نجد: "خال الشيء يخالُ خيلاً و خالاً وخيلاً (...). ظنه ، وفي المثل : من يسمع يخل، أي يظن (...). و خيل فيه الخير وتخيله : ظنه وتفرسه"³.

ويتضح لنا من التعريف السابق لمادة التخييل، ارتباطها بفعل الظن الذي يحيل إلى الإيهام والاشتباه.

¹ - عزيز شكري ماضي، في نظرية الأدب، المؤسسة الوطنية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2005م، ص40.

² - ينظر: سعيد جبار، من السردية إلى التخييلية، ص. 49.

³ - ابن منظور، لسان العرب، مج 2، ص 1304 .

وقد ورد في القرآن الكريم مفردة "يُخِيل" بمعنى التشبه والتوهم، جاء في قوله عز وجل:
﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ طه:66 ،
فالتخيل هنا متبوع بفعل السحر والتوهم.

أما في معجم مقاييس اللغة لابن فارس جاء:"الخاء والياء و اللام أصل واحد يدل على حركة في تلون فمن ذلك الخيال، وهو الشخص، وأصله من يتخيله الكانسان في منامه لأنه يتشبه ويتلون"¹.

وفيما تعلق الأمر بتحديد اصطلاحا نذكر ما جاء في معجم التعريفات حول مفهوم الخيال : "قوة تحفظ ما يدركه الحس المشترك من صور المحسوسات بعد غيبوية المادة، بحيث يشاهدها الحس المشترك كلما التفت إليها، فهو خزانة للحس المشترك ومحله مؤخرالبطن الأول من الدماغ"²، فمحل الخيال هو الدماغ، والخيال يعيد صناعة الواقع المحسوس الإنساني بعد تخزينه في الدماغ نفسه.

وذهب بعض النقاد إلى اعتبار الخيال ملكة من ملكات العقل البشري، وكإشارة صغيرة لما قلناه سابقا فقد وردت كلمة التخيل والتخيل بمعنى الخيال .

و"المتخيل" عند الباحثة الجزائرية آمنة بلعلى: " فهو يعطي للرواية أحيانا خصوصية تُعرف به، ويتعالى عنها أحيانا، ليكون وسيلة لإثارة الأشياء غير الموجودة بواسطة اللغة، أو محاكاة أشياء موجودة أو بإثارة نوع من الإيهامات أو التمثلات التي تتوجه إلى الأشياء وترتبطها باللحظة التي تتمثل فيها الذات، فتصبح عملا مقصودا يجسد وعيا بغياب أو

¹ - أبو أحمد الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، (جزء 2) ن (د . ط) ، دار الفكر للطباعة ، 1979 م ، ص 235.

² - علي بن محمود السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق ودراسة : محمود صديق المنشاوي، (د.ط)، دار الفضيلة، مصر، 1413 م (باب الخاء)، ص 90.

اعتقاد بإيهام.¹ وبالتالي فالمتخيل عند آمنة بلعلى يعطي للرواية خصوصية إثارة الأشياء غير الكائنة بواسطة اللغة.

وقد ركزت آمنة بلعلى في صياغتها لمفهوم " المتخيل " على دور الذات المتلقية في كيفية صياغة المتخيل وتشكيل جماليته : " فالمتخيل بدوره يحقق عملية الإبداع والخلق ويعيد للذات المتلقية دورها في إدراك المعرفة الجمالية وتأويلها"²، كما أنها ربطت المتخيل بالعقل و ارتأت إلى أن العلاقة حميمية بينهما.

ويرتبط المتخيل عند جيرار جُنيت بالجمال والمتعة، وهذا يرجع إلى القارئ وثقافته التخيلية وإمكانية التأويل لديه، حيث يقول: " أعتبر أدبا كل نص يثير في ارتياحا جماليا ، قياسا على هذا يمكن صياغة العبارة: أعتبر متخيلا كل نص يثير في متعا جمالية " ³ ويمكن تلخيص رؤية جيرار جنيت للتخييل في الملاحظات التالية: ⁴.

- اعتبار التخييل نمط أدبي يتضمن نوعين هما: السرد والدراما، حيث يبحث في الخصائص والسمات البنيوية والدلالية للنمط والنوع، والتخيل هنا مظهر دلالي أكثر منه شكلي.
- التخييل عنصر مهم لإثبات الأدبية، كما عده أهم خصائص اللغة باعتبار الوظيفة الجمالية للغة نفسها هي التخييل على حد قول آمنة بلعلى .
- التخييل اشتغال وفعل لغوي له خصوصياته وتمفصلاته البنائية والدلالية الإيحائية، لكونه يشغل على المستوى الفني للغة.

¹ - آمنة بلعلى، المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف، (د.ط)، دار الأمل، العاصمة الثقافية العربية الجزائرية، 2006، ص 16 - 17.

² - آمنة بلعلى، المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف، ص 18.

³ - الرجوع نفسه، ص 25 - 26.

⁴ - المصطفى سلام، التخييل في الفكر النقدي المعاصر، مجلة البلاغة والنقد الأدبي، المغرب، ع2، يوليو 2015، ص 66.

- الحقيقة في التخيل حقيقة فنية وتخييلية، لا يمكن معالجتها باعتماد آليات منطقية أو مبادئ عقلية علمية موضوعية، فهو خطاب يعمد إلى تأسيس منطقته الخاص في مسعاه لبلوغ الحقيقة المنشودة، فمنطقه احتمالي افتراضي يقوم على الهتك والخرق (الانزياح)، لا على المطابقة والتماهي.

- ينتمي التخيل إلى قبيل الأقوال التي لا يمكن القول بصدقها أو كذبها ولا يمكن التحقق من ذلك، فهو قول مجازي لا خبري، وفعل تمثيلي يجمع بين الشيء الممثل وصورته.

بالاستناد إلى كل ما سبق ذكره فالرواية هي عملية خلق لواقع تخيلي، لكن ليس واقعا خياليا فيزيقيا، بل هو واقع يتكون من عناصر وتركيبات ليست موجودة ماديا وواقعا، ويتم تقديمها من خلال بنية ونسق يجعلانها محتملة الوجود، وهي الفكرة التي دفعت بالنقاد للحديث عن علاقة الرواية بالواقع.

وكثيرا ما تُقترن الرواية بمفهوم التخيل على مستوى التجنيس، فهي كمصطلح تعني وصف الأحداث والشخصيات بطريقة لا تمت بصلة للواقع أو الحقيقة المرجعية، والتخيل يعني كل ما تم اختلاقه واختراعه دون أن يكون له أساس في الواقع، وقد ارتبط مصطلح التخيل بالأدب عموما، لكنه في الرواية أكثر إشراقا واقترانا، ذلك لأنها قد ارتوت من كل الأجناس الأدبية الأخرى، من شعر، وملحمة وأسطورة وقصة ودراما، فالرواية تسرد قصة نصدقها، شخصياتها تعيش وتحس وتفكر وتتكلم وتصمت كذلك، ولغتها هي الأقدر على صناعة هذه الحياة وإنتاج لغة سردية روائية لتشكيل عنصر التخيل.

وأما عن اشتغال الرواية باعتبارها جنسا أدبيا معتدا بحساسيته الفائقة لواقع إنساني مضطرب، فعماده الأول هو التخيل، باعتبار أن الروائي لا يصور واقعا جامدا، إنما يقوم بخلق عالم آخر مواز يملؤه بمخلوقات هو يحييها ويميتها ويقرر مصائرهما وصدف تفاصيل

الحياة التي تتعرض لها، فيصنع لها المواقف ويحدد ردود أفعالها وأقوالها، وكل ذلك تحت غطاء التخيل.

وينتج لنا الجمع بين الرواية كجنس أدبي تخيلي، والتاريخ، كحقل مُوثق قائم بذاته، ينتج لنا مصطلح " تخيل التاريخ " والذي يصعب الإمساك بمفهوم حصري له، بالنظر لكون التاريخ علماً قائماً بذاته له قواعده ومميزاته، ولكون التخيل ميداناً لا حصر لدلالاته، لكن لنا أن نقف في تعريف جامع لهما، بالقول بأن تخيل التاريخ أو التخيل التاريخي هو الاشتغال على فترة تاريخية بأحداثها وشخصيتها الموثقة، بأسلوب يموه تلك الحقيقة فيجعل منها عالماً موازياً دون تحريف أو تزوير فيها، ويتم ذلك بملأ الفراغات التي قد توجد بين صفحات التاريخ بقصدية أو بغير قصد مما يتيح لمخيلة المبدع المجال لبناء هذا العالم التخيلي.

وأما عن الحقيقة المسيطرة في البناء الروائي، فتتمثل في كل ما يراه المؤلف عن مجموع الحوادث والشخصيات التي قام بإبداعها، فيقوم بتتبع أسبابها وعرض نتائجها ورسم مشاعر شخوصها وآمالها وآلامها ليصور بذلك الحياة الإنسانية.

وفي جمع شمل " التخيل التاريخي " و " الرواية " يقول عبد الله إبراهيم في مقدمة كتابه التخييل التاريخي: " أن الأوان لكي يحل مصطلح التخيل التاريخي محل مصطلح الرواية التاريخية (...) ثم إنه يفكك ثنائية الرواية والتاريخ ويعيد دمجهما في هوية سردية جديدة، فلا يرهن نفسه لأي منهما"¹.

وبالتالي يغدو " تخيل التاريخ " منطقة الحرية التي تتيح للمبدع الروائي ممارسة مهمته الإبداعية، ويثبت فيها بصمته الفنية من خلال لغة خاصة تكون بمثابة صلة الوصل بينه وبين قارئه.

¹ - عبد الله إبراهيم، التخييل التاريخي/السرد والإمبراطورية والتجربة الاستعمارية، المؤسسة العربية، للدراسة والنشر، ط1، 2011، ص05.

وبالانتقال للعلاقة بين الواقع والمتخيل فهي علاقة حتمية: " يرى البعض أن الكتابة الإبداعية مرهونة دائماً بالواقع المجرد ومنفصلة به وهذا يفضي إلى أن العلاقة بين الإبداع والواقع أمر حتمي"¹.

فالمتمفق عليه أن الأديب أو الروائي على وجه الخصوص، ينطلق من الواقع الإنساني في عملية تتمة بنائه الروائي، ومنه يتشكل إبداعه الممزوج بشيء من الخيال وشيء من الواقع المعاش: " فالروائي يجلس مع أدواته يستعيد الماضي الذي كان واقعا مأزوما ويحوّله إلى واقع متخيل يضم في خفاياه الحقيقة العميقة"².

والقول بأن المتخيل هو إعادة صياغة الواقع المأزوم إلى واقع متخيل يحدد لنا علاقة الواقع بالمتخيل الذي: " ينبع من رؤية الكاتب الانتقادية للواقع"³ " فهوأي المتخيل، تصوير للواقع حسب رؤية الأديب الذي يتخيل انطلاقاً من الواقع الإنساني المأزوم.

وبالتالي تتطرق العلاقة بين المتخيل و الواقع من كون أن: " المتخيل بناء ذهني، أي أنه نتاج فكري بالدرجة الأولى، أي ليس إنتاجاً مادياً، في حين الواقع هو معطى حقيقي موضوعي، وإن المتخيل يحيل إلى الواقع ويستند إليه في حين أن الواقع يحيل إلى ذاته"⁴، وكلاهما وجهان لعملة واحدة والمتمثلة في الجنس الروائي.

¹ - محمد داود فائزة، على أجنحة الخيال وفي أدغال السرد، ط1، وزارة الثقافة، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2014، ص 120.

² - محمد داود فائزة، على أجنحة الخيال و في أدغال السرد، ص 121.

³ - آمنة بلعلی، المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف، ص 60.

⁴ - محمد محمد محبوبية، جماليات المكان في قصص سعيد حورانية، (د - ط)، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2011، ص 39.

ويظل المتخيل غير منفصل عن الواقع الإنساني، وهذا في كون المتخيل ممارسة وترميذا للواقع، لأن: "النص الأدبي مزيج من الواقع وأنواع التخيل، ولذلك فهو يولد تفاعلا بين المعطى والمتخيل"¹.

ومن خلال ثنائية الواقع والمتخيل يتكون النص الروائي الأدبي المتميز، وينشأ بخصوصيته الفنية الجمالية على غرار سائر الأعمال الإبداعية، بحيث يحصل فيه التفاعل بين الواقع والمتخيل لينتج ما يسمى بالخيالي، وبالتالي فهناك علاقة وطيدة حتمية تربط الواقع بالمتخيل باعتبار الرواية "عملا تخيليا يوهم بالواقع"².

2. في الرواية التاريخية الجزائرية المعاصرة:

لاقت الرواية التاريخية رواجاً كبيراً منذ نشأتها في الوطن العربي عموماً، فقد نالت إعجاب كثير من القراء والمثقفين العرب، نظراً لما تحمله من روح الفخر بالماضي العربي العريق والاعتزاز به والحنين إليه، وتجدر الإشارة إلى أن الرواية التاريخية العربية قد مرت بجملة من التغيرات والتحويلات الموضوعية والفنية خلال مسيرتها الطويلة، بدءاً من نشأتها في أواخر القرن التاسع عشر وصولاً لعصرنا الحالي، فلكل فترة تاريخية أعمالها الروائية المتميزة عن سائر الفترات التاريخية الأخرى بالنظر لطبيعة الأحوال السياسية والاجتماعية السائدة في تلك المرحلة، فاتجه الروائيون العرب للمزج بين ثقافتهم العربية وموروثهم العربي الأصيل

¹ - حورية الظل، الفضاء الروائي بين الواقعي والمتخيل، المجلة العربية، العدد 494، الأحد 2010/01/17، ص 1.

² - آمنة بلعلی، المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف، ص 53.

من قصص أصيل وأمثال شعبية وغيرها، فالكاتب المبدع لا يمكن أن ينقطع عن ظروف مجتمعه وأحواله الاستثنائية.

وبالفعل قد أظهرت جهود المبدعين الروائيين العرب رغبة وطموحا شديدين لإبداع رواية تاريخية حقيقية بعد محاولات جورجى زيدان ونجيب محفوظ لوضع أسس وقواعد هذا النوع من الكتابات الروائية الإبداعية، فبرزت أسماء جديدة من مثل واسيني الأعرج وعبد الرحمان منيف، لدرابتهم بأحدث تقنيات الرواية الجديدة التاريخية على سبيل الاختصاص وبأبرز إجراءات مناهج النقد المعاصر وأسسها، مما يُخلف تعامل المبدع السهل والذكي الواعي مع المادة التاريخية التي ينهل منها لتتمة تشكيل نصه الروائي، فيلتقط العناصر والنقاط المهمة الفاصلة في تاريخ المجتمع ويسلط عليها الضوء لتكون درسا للحاضر الأزوم سياسيا وفكريا واجتماعيا، بهدف استشراق مستقبل جديد وبالتالي المساهمة الفعلية في تغيير حياة الأجيال القادمة وافتتاح العقول وإنتاجها.

والرواية التاريخية عمل سردي فني يُكتب ليغدو من أهم المصادر التاريخية وأطر للبحث في منظومة القيم الاجتماعية الأخلاقية والحضارية ، وكذا حياة الأفراد وعلاقتهم بالسلطة في مرحلة زمنية معينة من حياة المجتمع، والتي تكون كتب التاريخ الموثقة والرسمية قد همشتها وتجاهلتها بقصد أو بغيره، مما يتيح للروائي العودة إلى هذا السجل التاريخي باعتباره مصدرا أساسيا لقيام عمله الروائي التاريخي، فيستفيد بذلك من كل جزئياته الظاهرة والخفية أيضا، ليقرأها ويعيد تشكيلها وفق رؤية خاصة به تتماشى وشروط عمله الفني.

لاحظنا إبان قراءتنا السريعة لبعض الأعمال الروائية العربية التي وظف كتابها المعاصرون التاريخ قديمه وحديثه من مثل : إدوارد الخراط، عبد الرحمان منيف، إلياس

خوري ، أحلام مستغانمي، واسيني الأعرج وغيرهم، لاحظنا تشديد هؤلاء المبدعين على جملة من الركائز لتشكيل العمل الروائي التاريخي والتي نلخصها في النقاط التالية¹:

1- مراجعة التاريخ الرسمي الجاهز وقراءته وكذا الاهتمام بالمهمشين والمغييبين بل وتسليط الضوء عليهم في نص الرواية.

2- عدم الاكتفاء بالمكتوب أو التاريخ الرسمي والهامشي، بل يجب الأخذ بالشفوي والمرويات الجزئية أو الكاملة التي من شأنها إضاءة وترميم أماكن الفجوات والإبهام في النص الرسمي المكتوب .

3- اكتناه التاريخ للأزمنة الثلاثة: الماضي، الحاضر والمستقبل، فالمبدع هو الروائي الذي يخدم ماضيه وحاضره ومستقبله كذلك .

كما أكد عبد الرحمان منيف على نقطة تبدو شكلية ولكنها أساسية ومهمة لقيام أي عمل أدبي روائي تاريخي خاصة، وهذه النقطة مرتبطة باللغة الموظفة في نصه ونوعيتها، إذ المفروض ابتعاد الروائي المبدع عن اللغة القديمة والعتيقة التي هجرها القراء، فمثل هذا النمط اللغوي يثقل كاهل العمل الروائي وينفر القارئ منه، وبالتالي تكون اللغة الموظفة في نصه تلبي حاجيات قارئه الذي ينتمي إلى المرحلة التاريخية التي ينتمي إليها الكاتب نفسه، وتكون لغة السرد التاريخي هي اللغة البديلة والتي يكثر استعمالها في مثل هذا النوع من الأعمال الروائية الإبداعية.

ونجد من بعض المبدعين الروائيين في مجال الرواية التاريخية العربية المعاصرة من يعتمد فيها كيفية التعقيد والإبهام، بحيث يعيد صياغة التاريخ وتأويله تبعاً لقناعاته واتجاهه السياسي والفكري من جانب، ويملاً فراغات التناقض والتشويه التي فرضتها السلطة الرسمية

¹-ينظر: نبيل سليمان، جماليات وشواغل روائية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د - ط)، 2003، ص

لدواعي سياسية من جانب مغاير، لذلك يتحتم على الروائي العربي المعاصر أن يكون عبقريا في مسائلة التاريخ بروية جديدة مغايرة .

وبالانتقال للرواية الجزائرية التاريخية على سبيل التحديد، لا يمكن أن نتملص من فكرة أن الرواية التاريخية كانت ولا تزال شديدة الارتباط بالحقبة الاستعمارية الفرنسية، فتميز الكتابة الروائية في الجزائر عائد لارتداداتها المتكررة لكتب التاريخ.

ولعل الموضوع الذي شغل الروائيين الجزائريين وفتح قرائحهم وأخذ اهتماماتهم، موضوع الثورة التحريرية النوفمبرية 1954 م، و العشرية السوداء بحلقة أحداثها ومآسيها الدموية وغدت الشغل الشاغل للكتاب الجزائريين بالرغم من تعدد نواياهم وأهدافهم اتجاهها.

فهذا الطاهر وطار وهو من مؤسسي التجربة الروائية في الجزائر- يُقر أن: " الرواية تأريخ بشكل أو بآخر لأحداث حصلت، وتأريخ لأفراد، وتأريخ لشخص الكاتب مهما حاول أن يبعد ذاته"¹، ويضيف قائلاً: " الفرق بين المؤرخ والروائي هو أن المؤرخ يعتمد على المادة التي يحصل عليها، وقد يضيف إليها وجهة نظره الخاصة، بينما الروائي يضيف إلى المادة الروائية خيالات وتصورات حتى لو لم تكن من الواقع " ²، مشيراً إلى أساس وماهية الرواية التاريخية وأسس بنائها وتشكيلها.وفي صدد آخريقول جيلالي خلاص : " لم أكتب رواية تاريخية، لكنني لا أنكر أنني كثيرا ما وظفت التاريخ كذريعة في رواياتي، فأنا مولع بتاريخ بلادي المليء بالبطولات وبالخيبيات أيضا "³،وهوما يدعونا للقول أن خلاص يعلم الحدود الفاصلة بين الرواية التاريخية وغيرها من الأنواع الروائية الأخرى، فتوظيف بعض التاريخ في الجنس الروائي لا يعني أنها تاريخية بالضرورة، لكنه يكون بمثابة المتكأ الذي

¹- زينب قبي، الرواية والتاريخ: آراء روائيين جزائريين، مجلة ثقافية، منشورات وزارة الثقافة، العدد 09، يوم: 2007/01/09، ص 148.

²- زينب قبي، الرواية و التاريخ:آراء روائيين جزائريين، ص148.

³- المرجع نفسه، ص 153.

يستند عليه الروائي لبناء الحدث المتخيل في نصه الروائي، وكمثال عن الرواية التاريخية الجزائرية نعرض رواية "كتاب الأمير" لواسيني الأعرج والتي استثمر فيها المادة التاريخية فنيا، إذ أنه أغنى نسقها التاريخي بخيال خلاق، بحيث نراه لا يتلفت إلى الماضي: "إلا من أجل استكشاف طاقات التعبير وينابيع المعنى وإعادة صوغ القيم المهذورة صوغا جماليا إذ يستثمر فيه الآليات السردية والأدوات الحجاجية والحبائك الوصفية"¹.

ورواية "كتاب الأمير" لا تهتم في طلب التفاصيل التاريخية، لكونها تتحرك بهدف استنطاق المسكوت عنه في التاريخ، ومساءلته وكشفه لجمهور القراء، ويتجنب الاهتمام بصدق الأخبار أو كذبها، فشغله الشاغل هو ملاءم الفراغات والتناقضات التي تشوب السجل التاريخي الرسمي، "فالروائي لا يكتب تاريخا وما ينبغي له، وإنما تراه يلحم شيئا يحمل طابع التاريخية، ذلك بأن الإبداع الروائي إنما يقوم بالضرورة على فكرة من التاريخ، ويتمثل حتما مظهرا من مظاهر البناء الذي بمقتضاه نستطيع قراءة ما يحدث للكائنات والأشياء والأفكار، ولاسيما ما يحدث لرواية وهو بصدد تدبيج عمل سردي خيالي"².

فالنص الروائي "كتاب الأمير" ينهض على مساءلة اليومي عبر رصد تلك الحياة البسيطة للأمير عبد القادر رسدا نقديا فنيا جماليا، من خلال تبنيه لإستراتيجية حكاية تجمع بين السرد التاريخي والسرد الخيالي وتؤلف بينهما في أسلوب سردي فني خاص.

وقد أشارت "زهور ونيسي" لفكرة كشف المستور والمسكوت عنه في التاريخ الرسمي بقولها: "المبدع محلل من نوع آخر، غير مطلوب منه إبراز الحقائق كما هي دون زيادة أو

¹ - أحمد يوسف، الشرط التاريخي وإيحاءات الغيرية في رواية الأمير لواسيني الأعرج، مجلة التواصل، جامعة باجي مختار، عنابة، ع 29، ديسمبر 2011، ص 77.

² - عبد المالك مرتاض، الرواية جنسا روائيا، مجلة الأقلام العراقية، العراق، العدد 12/11 نوفمبر 1986 م، ص 130.

نقصان"¹، بحيث يمتلك الروائي المبدع هامشا من الحرية ليحتال على الحقيقة ويرسمها بطريقته التي تتماشى وبنائه الروائي، ويراوغ بذلك السلطة.

يُشترط في الروائي أن يكون أكثر دهاءً من الساسة ليتمكن من تمرير رؤيته الخاصة وذلك هو المطلوب من المبدع الجزائري، وهو ما تدعو له الروائية الجزائرية النسوية فضيلة الفاروق: " الثورة التحريرية ثورة حقيقية لا يُقدر الجزائريين ثمنها لأنها تعتبر معينا لا ينضب، وبالإمكان الاشتغال عليه روائيا وقول ما لم يقله التاريخ (...)، فالرواية تقول التاريخ بالتفاصيل الصغيرة ، تحلل وتشرح وتستنتج الأسباب"²، وهذا ما أشرنا إليه آنفا حول اعتبار الروائيين الجزائريين موضوعي " الثورة الجزائرية والعشرية السوداء " أساسا مهما لتشكيل النص الروائي التاريخي وبنائه، ومنهلا يستثمرونه لإبداعاتهم السردية الفنية، بهدف معالجة النواقص وإثراء الحلول وبناء أفق مغايرة.

وهذا ما سنلتمسه بقوة في روايتنا التي تمثل موضوع بحثنا " كولونيل الزبربر " للروائي الجزائري الحبيب السائح، الذي يسائل التاريخ الرسمي لكشف المسكوت عنه وفضحه، في قالب سردي تاريخي تخيلي، من خلال أدوات وآليات فنية تمكننا من رؤية الواقع وتلك الحقبة والمرحلة الاستثنائية من تاريخ الجزائر والكشف عن خفايا و مكنونات الثقافة الاستعمارية والسلطة الرسمية اللتان حرصتا عبر مؤسساتهما الثقافية والسياسية على وضع الرواية في إطار من الضغوطات المعلنة أو المضمرة، بهدف التضييق على الكتاب الجزائريين وتشديد الخناق على إبداعاتهم الروائية التاريخية على وجه الخصوص.

ومن هنا يأتي تناولنا لرواية "كولونيل الزبربر" للحبيب السائح في سياق الحديث عن هاجس الكتابة السردية وجمالياتها الفنية عبر تناوله لموضوع الثورة والتأريخ لها، وكذا مرحلة

¹ - قبي زينب، الرواية والتاريخ، ص151.

² - المرجع نفسه، ص149.

العشرية السوداء بآلامها ومآسيها، بحيث اختطفت من التاريخ مصداقيته ووضعته موضع شك لدى المثقف الجزائري أو المتلقي والقارئ لعمله الروائي.

الفصل الثاني :
جدلية التاريخي والتخييلي السرد في
رواية " كولونيل الزبير "

المبحث الأول: تلخيص الرواية وتصنيفها.

1- تلخيص الرواية: (مضمونها ومواضيعها).

يقدم "الحبيب السائح" في روايته "كولونيل الزبير" الصادرة عن دار الساقى لعام 2015م تاريخ الجزائر الحديث، ابتداء بثورة التحرير الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي (1954-1962)، وما تلا هذه الفترة الحساسة من أحداث ووقائع مؤسفة، أبرزها حادثة العشرية السوداء (1992-2002) أو ما يعرف عند الجزائريين "بالمحنة الوطنية" الدموية والقاسية.

تتمحور رواية "كولونيل الزبير" حول شخصية "الطاووس الحضري" امرأة في الرابعة والثلاثين من عمرها، تعمل كطبيبة أطفال، مقيمة في "رقان" مع زوجها "حكيم"، بحيث تبدأ روايتها معها، أين يسلم إليها والدها "جلال الحضري" المكنى "كولونيل الزبير"، "فلاش ديسك" يتضمن مذكرات جدها "مولاي الحضري" المكنى "بوزقزة" والذي كان ضابطا في صفوف جيش التحرير الوطني إبان فترة الثورة، لتكشف "الطاووس" حياة جدها "مولاي" الذي غادر الجندية والسياسية عقب الاستقلال احتجاجا على إعدام حكومة الاستقلال آنذاك، أصغر ضابط برتبة عقيد في صفوف جيش التحرير الوطني، بتهمة الخيانة والانفصالية، وهو نفسه العقيد شعباني.

من خلال شخصية "الطاووس"، السفيرة إلى عالم أبيها "كولونيل" قائلة: "فتحت الملف برعشة، أحسستها لجزيئات رمل منفردة من فم عاصفة أصابت بشرة جسدي...للحقيقة فإني فتحت ملفين، كان الثاني يحمل هذا التنبية (تصورت دائما أنني تركت جمجمتي ورائي في جبل الزبير)"، فمن خلال "الطاووس" نتابع يوميات "الكولونيل"، منذ أن كان طالبا بمدرسة أشبال الثورة، فالتحاقه بأكاديمية شرشال لمختلف الأسلحة، ووصولاً إلى توظيفه في الميدان العملي ليكون أول ضابط يشكل فصيلة متخصصة في مواجهة الجماعات الإرهابية

الفصل الثاني: جدلية التاريخي والتخييلي السرد في رواية "كولونيل الزبير"

المسلحة(1992-2002)، وانتهاءً بإحالتها على التقاعد، يشرع في كتابة مذكراته التي سجل أغلبها في مكتبته المنزلية بالحاكمية، غالبيتها أليمة وموجعة، تروي تجربته القاسية بداية من فقدته لابنه "ياسين"، الضابط في صفوف الأمن والذي قتل في عملية تمشيطية إثر محاولة تحرير رهائن من قبضة جماعة مسلحة، بالإضافة لفقدانه زوجته الغالية "باية" إثر حادث سير أليم.¹

تسرد "الطاووس" من خلال الملف الذي تركه جدها "مولاي" لأبيها "جلال الحضري"، تسرد شهادة جدها على ما نهفته أنانيات الساسة، وزحزحة حساباتهم الشخصية إلى عراء النسيان: "كما الساسة الثعالب، كما الضباط المفلسين منشغلين جميعا بالنهب والابتزاز"²، حتى أصبحت ذاكرة جيل بأكمله في مهب التهميش، ملطخة بحماقات متعاقبة منذ خمسين عاما.

تشير الرواية بروية جريئة إلى ما غيبه التاريخ الرسمي الجزائري من وقائع وشخصيات ومناطق مهمشة، فيروي الجد "مولاي بوزقزة" عن التصفيات الاغتيالية التي حصلت بين الجنود والضباط الجزائريين بعد مرحلة الاستقلال بتهم الخيانة والانفصال، وكيف تمت تصفية المتعلمين الجزائريين الذين انضموا إلى الثورة بذريعة أنهم درسوا في مؤسسات ومدارس فرنسية داخلية، للتشكيك في ولائهم للسلطة السياسية آنذاك، ما دفع الجد "بوزقزة" للانسحاب من الحياة العسكرية والسياسية احتجاجا على تلك الممارسات الوحشية والتعسفية، وخاصة بعد إعدام رفيقه "النقيب شعباني" أحد الضباط العسكريين.

على هذا النحو تتناوب ثلاثة أجيال في سرد الرواية متمثلة في : مسرود "الطاووس"، محكي والدها "كولونيل"، بالإضافة لمروي جدها "مولاي بوزقزة"، مرفقة بشهادة لطبيب جزائري "طاهر" والذي يقوم بمهمة معالجة جرحى جنود جيش التحرير في الجبل سرا، يسرد فيها

¹ - الحبيب السائح، كولونيل الزبير، ط1، دار الساقى، بيروت، لبنان، 2015م، ص17.

² - الحبيب السائح، كولونيل الزبير، ص39.

الفصل الثاني: جدلية التاريخي والتخييلي السرد في رواية "كولونيل الزبير"

وقائع الحرب داخل مدينة الجزائر العاصمة، من اغتيالات الاستعمار للأهالي، إلى الأعمال الإرهابية للمنطقة المسلحة المعروفة بمنطقة الجيش السري (أو، آ، أس)، والتي اغتالت بدورها المدنيين، وفجرت العقارات الرسمية، ناهيك عن قيامها بحرق الجامعة المركزية، "تكبة حقيقية ألحقت بتراث ثقافي وعلمي، جريمة ضد الإنسانية، لو سرقوا، لو نهبوا، لو حولوا، كما فعل النازيون قبلهم بمتاحف البلدان التي احتلوا وبمكتباتهم، لهان الأمر، ولكن أن يحرقوا منجزات العقل، أن يتلفوا مآثورات بتلك القيمة، أن يحرقوا أربعمئة ألف كتاب ووثيقة ومخطوطة، فتلك أفصح جريمة ارتكبت منذ 1962"¹، بهدف تطويق المثقفين ومحاربة العلم ونشر الجهل والتخلف وسط الشعب الجزائري بمختلف فئاتهم العمرية كخطط فرنسي تدميري آخر.

عمد "الحبيب السائح" صاحب رواية "كولونيل الزبير" إلى خلخلة الكثير من القناعات السياسية الراسخة، في ما يتعلق بالنظرة الخاصة الإيجابية إلى ثورة التحرير الجزائرية بأنها حرب مقدسة لم تشبها أي شوائب وانحرافات، فحاول الروائي إثبات هذه النظرة الخاطئة من خلال شخوص الرواية وتفصيلها، وكدايل على ذلك ما يقدمه النص الروائي من سرد حول الطريقة والظروف التي استشهد فيها الثوار والمناضلين الجزائريين، فأغلبها اغتيالات وتصفيات وحسابات سياسية غامضة بحق شخصيات سياسية أمثال "بن مهدي وبن بولعيد وغيرهم كثير."

طرح نص رواية "كولونيل الزبير" عدة مضامين وموضوعات ممثلة جراً شخص "الحبيب السائح" بتطرقه إلى طابوهات بعض الحقائق من التاريخ والسياسية والعدل والجنس، والنظرة للآخر الفرنسي، وغيرها من المضامين الموضوعاتية التي سنفصل فيها فيما يأتي:

¹ - المصدر نفسه، ص 191.

1. التاريخ:

تجوب فصول الرواية في تاريخ حرب التحرير وتفاصيلها، من خلال غوص "الحبيب السائح" في وقائعها وتفاصيلها بشكل معمق، يطرح من خلالها الكثير من الالتباس الذي أحاط بثورة التحرير، والذي لا يزال محط نقاش كثير بين المشاركين فيها (المجاهدون الحقيقيون) والسامعين عنها.

لينتقل الروائي لسرد أحداث ما بعد الاستقلال ومنها مرحلة العشرية السوداء، مرحلة الاقتتال الدموي المأسوي في تاريخ الجزائر، ويؤرخ لها ولنكبتها الحقيقية المؤسفة، بحيث يبدو الروائي منشغلا جدا بهاجس العودة إلى التاريخ، رغبة منه في استعادة مجده وخوفا من تناسي بعض حقائقه، فنجده لا يخشى التصريح عن ذلك، فيورد هذا على لسان "الطاووس": "ما انفكت أنتظر، منذ وعيت وجودي التاريخي، أن يعاد لحرب التحرير مجدها المسلوب"¹.

لا يتجه "السائح" لتاريخ الجزائر في تركيزه على فترات من حرب التحرير وفترة الاستقلال والعشرية السوداء بوصفه مادة حكاية وحسب، وإنما لكونه العالم التاريخي الذي همشت حقائقه وحُرف مساره الحقيقي، لذلك نجد الروائي يهتم بتمرير أفكاره ووجدانه حول وقائع التاريخ الحقيقي من خلال السارد، فيسائل من خلاله جانبا من تاريخ حرب التحرير والعشرية السوداء، ليدعو القارئ المتلقي الجزائري بالتحديد إلى إخضاع التاريخ الرسمي الموثق الذي أصدرته المؤسسة الرسمية إلى التشكيك والتفكيك، بالنظر للحقائق المزيفة والسطحية التي لم تُذكر في المقرر الدراسي الرسمي، على نحو المعلومات التي أوردتها عن صراع المجاهدين حول الزعامة، إلى تفاصيل إعدام "العقيد شعباني" وسرقة أموال الجبهة التحريرية، فنقول "الطاووس": "ها أنا أستمع لنفسي تندب لي بطعم المرارة في ريقِي، إنني لم

¹ - الحبيب السائح، كولونيل الزبير، ص 181.

الفصل الثاني: جدلية التاريخي والتخييلي السرد في رواية "كولونيل الزبير"

أقرأ عن تلك الأحداث في المقرر الدراسي خلال مساري كله، ولا كنت شاهدت صوراً منها أو اطلعت عنها في أي وسيلة إعلامية رسمية¹، ليعبر "الحبيب السائح" على لسان السارد "الطاووس" عن خيبته إزاء التحريف والتزوير الذي طال بعض الحقائق التاريخية الرسمية، ويأخذ وفقاً لذلك على عاتقه مهمة إعادة شيء مما ضاع عن التاريخ الجزائري، وما تم تهميشه ونسيانه وكذا تزوير حقائقه، بحيث ضاعت قيمة الثورة التي ناضل "مولاي بوزقزة" أبو "جلال الحضري" وكافح فيها، أين حاول بكل قواه الجسدية تحقيق الحرية والاستقلال لوطنه الجزائر، فضاعت قيمتها بالنظر لمطامع الحكم والسلطة عقب حرب التحرير، وصراع السياسة الداخلي حول منصب الحكم.

يتطرق الروائي على لسان شخصياته الروائية إلى نظرتة حول المجاهدين، وتضحياتهم المقدمة في سبيل تحرير الوطن من المستعمر الفرنسي المستبد، بحيث كشف للقارئ عن الجانب الآخر المظلم لبعض المجاهدين من خلال حديثه عن مطامعهم السياسية وانزياحهم عن مبادئ الثورة التحريرية الجزائرية، على لسان "كولونيل الزبير": "ذكر لي أنهم لا يقلون خطراً، يصل درجة الخيانة عن الذين زرعتهم الإدارة الاستعمارية في جسم جيش التحرير"²، ليستبعد بذلك الصورة الإيجابية لبعض المجاهدين ويفضح خيانات بعضهم، وعن فساد السياسة لقوله في الرواية: "الفساد بدأ يوم حول شخص واحد في 1964م ما كان في حساب جبهة التحرير البنكي بكامله في سويسرا إلى جيبه"³.

2- موضوع الأنا والآخر:

حاول الروائي "الحبيب السائح" في روايته "كولونيل الزبير" كسر تلك النظرة الموجهة إلى الآخر الفرنسي وتغييرها، بوصفه بنظرة المستعمر المستبد لا غير، فأعاد "السائح"

¹ - المصدر نفسه ، ص 171.

² - الحبيب السائح، كولونيل الزبير ، ص 39.

³ - المصدر نفسه، ص 39.

الفصل الثاني: جدلية التاريخي والتخييلي السردى في رواية "كولونيل الزبربر"

تصحيح هذه الرؤية السائدة في أوساط المجتمع الجزائري، وجعل في الآخر الفرنسي شيئاً من القيم الإنسانية و الطيبة والنزاهة، على غرار ما قدمه من شخصيات روائية متخيلة من مثل: فرانسواز، و شارل وغيرهم، صور من خلالهم الإنسان الفرنسي المسالم، لينفي بذلك طابع العنصرية اتجاه الفرنسيين الذين يساندون حق الجزائريين في تحقيق مطلب استقلالهم وانفراج أزمته الكفاحية الوطنية.

ويطرح "السائح" في المقاطع الموالية من الرواية الإشكالية التي تمثل النظرة السلبية للجزائري نحو الفرنسي، ويبين النظرة التي خلفها الاستعمار الفرنسي الظالم في عقول الجزائريين عن الفرنسي الآخر، دون أن نتغافل عن تطرق الروائي لمسألة رؤية الفرنسي للجزائري والتي تشكلت بفعل خلفيات استعمارية مخططانية نتج عنها أفكار سلبية وخلفية إيديولوجية تنامت في أذهان الفرنسيين عن الجزائريين، وهو ما طرحه "الحبيب السائح" على لسان شخصيته الروائية " أنطوان"، ليتسنى له تفسير الوحشية والظلم الذي ألحقه المستعمر الفرنسي بالأهالي الجزائريين، وهذا ما يتضح مثلاً في قوله: "قادتنا هم من أدخلوا إلى أذهاننا أنكم مظهر من البؤس والموت، لذا يجب أن نبيدكم"¹، معللاً الإبادات والاعتقالات الوحشية البشعة التي نفذها العسكر الفرنسي اتجاه صفوف الجزائريين دون مراعاة عجزهم أو جنسهم وسنهم، إلى حد التعذيب بالكهرباء ومس الأعضاء التناسلية وهذا بالنسبة لجنس الرجال، والتعذيب بالاغتصاب بالنسبة للنساء والفتيات، وتصفية الشيوخ والأطفال في المحتشدات.

3 القيم الإنسانية كالحب:

بالرغم من فضاء المعارك والأحداث التاريخية التي تدور الرواية في فلكها، إلا أن "الحبيب السائح" صب فيها طابع الحب والإخلاص، ليستمر وهجهما على امتداد صفحات

¹ - المصدر نفسه، ص 68.

الفصل الثاني: جدلية التاريخي والتخييلي السرد في رواية "كولونيل الزيربر"

رواية "كولونيل الزيربر" من خلال قصص الحب الأسطورية التي نسجها الروائي بين كل من شخصيات "الكولونيل" و"باية"، "مولاي بوزقزة" و"رقية"، "الطاووس" و"حكيم".

ويشبه "السائح" قصص الحب الثلاثة بعضها البعض داخل فصول الرواية، وبالضبط في فصل أسر تروي فيه "الطاووس" الساردة ليلة عرس جدها بجدها "رقية"، لتصل إلى ليلة عرس والدها "جلال" و"باية"، وتصف ليلة دخلتهما بأدق التفاصيل والكلمات المعبرة. كما تروي علاقتها بزوجها "حكيم"، لتتناول القصص الثلاثة بين بعضها البعض في النص الروائي "كولونيل الزيربر"، ما يزيد أسطورة علاقات الحب ويمنحها طابعا أسطوريا فريدا من نوعه، فوهج الحب ساهم في شفاء أرواح شخصيات الرواية، مما علق ولحق بها من آثام وآلام الحروب وبشاعة القتل.

4- المثقف والسلطة في الجزائر :

يطرح "الحبيب السائح" في نص روايته "كولونيل الزيربر" قضية المثقف المتعلم في الجزائر وعلاقته بالسلطة الحاكمة، خصوصا بعد فترة الاستقلال، أين عمدت فيها السلطات الرسمية لفرض قيود وأغلال على فئات المثقفين والمتعلمين في الجزائر، تصل إلى حد الاغتيال والحكم بالسجن المؤبد، فدعا "السائح" من خلال روايته إلى ضرورة تحرير الطبقة المثقفة في الجزائر بكل فئاتها ودعم نشاطاتهم التنقيفية التعليمية، ويستظهر لنا الروائي تلك العلاقة الخفية التي تمارسها السلطة اتجاه المثقفين، بكبح الآراء المعارضة وإمكانية التدخل في شؤونهم لإخفاء الأدلة والمساس بها، كالتدخل في عمل القضاء (العدالة) والجامعة وكل المؤسسات الإعلامية التي يفترض أن تكون مستقلة بذاتها، وهو الرأي الذي نقله "السائح" على لسان شخصية "الكولونيل"، قائلاً لزوجته "باية": "لك أن تتصوري القضاء مستقلا والصحافة حرة وقطاع الجمارك يغير لباسه الوسخ، لتجدي الإجابة، فكثير من متاعب

رجال الأمن والجيش النزهاء كانت ستحقق الإجابة، وكان المواطنون سيستعيدون ثقتهم في مؤسسات دولتهم التي ينخرها الفساد¹.

وعلى هذا النحو تمثلت لنا أهم المضامين والمواضيع التي تطرق إليها الروائي "الحبيب السائح" في نص روايته "كولونيل الزيربر" بحيث قام بمساءلتها وبحثها من خلال شخصيات روايته، بغية الوصول لمعرفة أسبابها وعللها ونتائجها وعرضها للقارئ الجزائري.

2. تصنيف الرواية:

تنتمي رواية "كولونيل الزيربر" "للحبيب السائح" إلى صنف الروايات التاريخية التي تستلهم من التاريخ مادتها وموضوعها المطروح، وهذا النوع من الروايات يشترط تجنب غلبة تاريخها على فنيته وإخضاع المادة التاريخية وفقا لمبادئ الروائي وتقنياته الفنية الجمالية.

لا يلجأ الروائي إلى سرد الأحداث التاريخية كما يمكن أن نقرأها في كتب التاريخ الموثقة، إنما يروي التفاصيل العميقة لهذه الحروب والوقائع التاريخية، وكشف ما طالها من تجاوزات وأخطاء وتهميش حتى يتسنى له تقديم صورة جديدة واقعية عنها، بعيدا عن النظرة المثالية التي أسبغت عليها من خلال التشكيك في أحداثها وتاريخها الرسمي، كمحاولة لكشف ما هو مسكوت عنه وتعريته للقارئ الجزائري، وهذا بالضبط ما لمسناه في نص رواية "كولونيل الزيربر"، بحيث عرض لنا "الحبيب السائح" بعض الحقائق التاريخية للثورة التحريرية وفترة العشرية السوداء، من انحرافات وتجاوزات، من خلال مسائلته وتفكيك التاريخ الرسمي والتشكيك فيه لتعريه حقائق الثورة المبطنة والمغيبة عن القارئ الجزائري، وفضح كل التفاصيل التاريخية والانحرافات المسكوت عنها.

يعد نص "كولونيل الزيربر" من الروايات الجزائرية القليلة التي تناولت موضوع الحرب والثورة بلا مسبقات وطنية تفديسية، بحيث أبدى الروائي "الحبيب السائح" نظرة جريئة

¹ - الحبيب السائح، كولونيل الزيربر، ص 41.

الفصل الثاني: جدلية التاريخي والتخييلي السردى في رواية "كولونيل الزبربر"

معارضة ومشككة في التاريخ الرسمي الموثق الجزائري، على غرار تفاصيل الثورة الحقيقية، وأحداث العشرية السوداء الأليمة ومآلاتها على الجيل الجديد، ليخترق بذلك الخطاب المهيم وينشئ خطابا مغايرا جديرا بالتأمل والاستقراء.

تنقل "السائح" في نص روايته عبر ثلاثة أجيال سردية متمثلة في:

- جيل الثورة مع "مولاي الحضري" المكنى "بوزقزة".

- جيل ما بعد الاستقلال الممثل بـ"كولونيل الزبربر" أي "جلال الحضري"، وكلاهما عاش حياته الثورية أو التمشيطية العملية في جبال الزبربر وغاباتها (غابات الموت) مقاوما للاستعمار الفرنسي أو للجماعات الإرهابية المسلحة.

- جيل اليوم المتمثل في "الطاووس"، ذات الـ34 ربيعا، والتي تتأمل تراكم هذه الأحداث والعنف من خلال مرويات جدها وأبيها "كولونيل"، وهذا التداخل بين الأزمنة والأحداث في الرواية يجبر القارئ المتلقي لإبقاء تركيزه ودرجة وعيه في أعلى مستوياتها، بالنظر لتقنية تكثيف الوقائع التي اعتمدها "السائح" في "كولونيل الزبربر" أولا، ولكون الفضاء المكاني الذي تدور فيه معظم الأحداث التاريخية هو نفسه جبل الزبربر، الذي كان معقلا للثوار المجاهدين في سبيل الوطن إبان ثورة التحرير، ليغدو بعد ذلك المأوى الذي تفر إليه الجماعات الإرهابية المسلحة أيام التسعينيات (العشرية السوداء).

ويحيل جبل الزبربر إلى سنوات الحرب والدم والاقنتال القاسية، وهو مكان سردي في رواية "كولونيل الزبربر"، يتخذ لنفسه مساحة واسعة وتجربة أليمة في الذاكرة الحالية، ليطوعه "الحبيب السائح" في نصه الروائي من أجل بناء كيانه السردى، وتشكيل مشروع الروائي المتميز.

عمد "الحبيب السائح" إلى التشكيك في التاريخ الرسمي على مستوى المواضيع السردية عمدا كتاب التاريخ الموثق الرسمي إلى التغطية على المغالطات والانحرافات التي

الفصل الثاني: جدلية التاريخي والتخييلي السرد في رواية "كولونيل الزبربر"

انجرت عن ساستهم، فقاموا بتهميشها وإزاحتها عن التاريخ الرسمي المقدم للامة، بإغفال الحديث عن كثير من الجوانب التاريخية لحرب التحرير، والظروف الحقيقية المؤلمة ومآلاتها بالنسبة لفترة العشرية السوداء أو ما يعرف بالمحنة الوطنية حاليا.

ومن هنا يمكننا القول بأن المسألة التي عقدها الروائي الجزائري "الحبيب السائح" في نص روايته " كولونيل الزبربر" قد كانت من أجل تحقيق مجموعة من الأهداف والمساعي التي نعد من بينها ما يلي:

- التشكيك في التاريخ الرسمي من خلال تمرير أمثلة واقعية تاريخية أعاد الروائي النظر في حقيقتها المغيبة في رواية "كولونيل الزبربر"، مما أفضى به إلى نتيجة حتمية مفادها أن التاريخ الذي كتب في الدفاتر والمجلدات الرسمية ليس إلا تمويه تاريخيا يخفي الحقائق المغيبة، وليس بتاريخ الجزائر الفعلي، بحيث ربط الحاضر بالماضي وتوضيح ما آلت إليه الثورة من نتائج سلبية، تمثل بعضها في تخلي بعض المجاهدين الثوار عن مبادئهم وقيمهم بالنظر لمطامعهم في الحكم والسلطة، ما أفرز الاستبداد السياسي الذي تعيشه الجزائر في الحاضر.

- تسليط الضوء على المهمش من بعض حقائق التاريخ الجزائري، بعرضها وتحليلها، بغرض إعادة إحيائها ورد قيمتها الحقيقية إليها من خلال تمريرها للقارئ الجزائري.

المبحث الثاني: جماليات الكتابة السردية الفنية في رواية "كولونيل الزيربر" للحبيب السائح.

قبل أن ننطلق في بحث أهم آليات وتقنيات السرد الفني في روايتنا " كولونيل الزيربر " والتي تمثل موضوع بحثنا، أين تطرق مؤلفها "الحبيب السائح" إلى موضوعين جوهريين لطالما مثلا العنصر الأساس والمنبع الجوهر الذي ينهل منه أدباء وكتاب الجنس الروائي في الجزائر، والحبيب السائح سار على خطى هؤلاء المبدعين الروائيين، حيث استقى من التاريخ الرسمي المشوه، على حد تعبيره، ما يخدمه لبناء عالمه الروائي التاريخي المتخيل في الآن نفسه، وعُد نصه الروائي "كولونيل الزيربر" أول نص سردي روائي يتجرأ على فضح المسكوت عنه في حرب التحرير النوفمبرية وكذا العشرية السوداء، فتعرض لبعض التفاصيل التي همشها السجل التاريخي الرسمي ولم يذكرها مُفصحا عن انحرافات السلطة وفسادها، من خلال غطاء تخييلي غير مباشر [قالب تخييلي].

لم يكن الحبيب السائح في منأى عن تاريخ الجزائر انطلاقا من الثورة المجيدة مرورا بالعشرية السوداء وصولا لإسقاط كل تلك الإحداثيات التاريخية على الواقع المعيش مستدعيا التاريخ الرسمي المزور ومسائلا له زمانا ومكانا وأحداثا وحتى شخصيات .

ولاشك أن أسمى أهداف السائح من وراء تلك الكتابة الروائية هي التعريف بهوية وتاريخ الأمة الجزائرية المناضلة لإثبات حريتها واستقلاليتها، وبالفعل أسهمت روايته الموسومة "كولونيل الزيربر"، موضوع بحثنا، في بلورة الحقيقة التاريخية وفضح المسكوت عنه في التاريخ الموثق وتعريته لعامة الناس .

الفصل الثاني: جدلية التاريخي والتخييلي السرد في رواية "كولونيل الزيربر"

قبل أن نشرع في تأطير سمات السرد الروائي وآلياته في " كولونيل الزيربر"، والتعرض لجمالياتها بالدراسة والتحليل والوصف، لا بأس أن نخرج على أهم العناصر البنائية المشكلة للجنس الروائي، من عنوان، وشخصيات، وفضاء زمني ومكاني، ونوعية اللغة التي اعتمدها الروائي المبدع وصولاً للحوار بنوعيه الداخلي والخارجي، ولا شك أن هذه العناصر البنائية كلها وسائل وآليات جوهرية لا غنى عنها في أي عمل روائي مهما كان نمطه، فهي الغطاء الذي يُقدم من خلاله الكاتب نصه الروائي ويطرح موضوعه وإشكاليته وتفكيره .

1- دراسة العنوان :

يعد العنوان بوصفه العتبة الأولى للقراءة علامة لسانية وسيميولوجية غالباً ما تأتي في بداية النص الإبداعي [شعراً أو نثراً] لها وظيفة تعيينية ومدلولية، وتأشيرة أيضاً أثناء تلقي النص والتلذذ بمعابنته وموضوعه الجوهر، فهو في الحقيقة "مرآة مصغرة لكل ذلك النسيج النصي"¹، باعتباره علامة مشكلة لقوام العمل الفني الروائي على وجه التحديد، من حيث أنه يحدد هوية الإبداع وتيمته العامة .

والعنوان كما كتب " كلود دوشيه ": "عنصر من النص الكلي الذي يستبقه ويستذكره في آن واحد، بما أنه حاضر في البدء و خلال السرد الذي يُدشنه، يعمل كأداة وصل وتعديل للقراءة"²، بحيث إنه يوجه قراءة الرواية باعتباره المفتاح الذي به تحل وتفكك أُلغاز الأحداث، وإيقاع نسقها الدرامي وتوترها السردية، وعن الوظيفة التي يؤديها يقول الباحث المغربي "إدريس الناقوري": "تتجاوز [دلالة العنوان] دلالاته الفنية والجمالية لتندرج في إطار

¹ - شعيب حليفي: النص الموازي للرواية: إستراتيجية العنوان، مجلة الكرمل، العدد 46، 1992، ص 85.84 .

² - كلود دوشيه: [عناصر علم العنونة الروائي]، أدب فرنسا، عدد 12، كانون الأول، 1973، ص52-53.

الفصل الثاني: جدلية التاريخي والتخييلي السرد في رواية "كولونيل الزيربر"

العلاقة التبادلية الاقتصادية والتجارية تحديداً¹ إلى جانب وظائف أخرى كالوظيفة الإيديولوجية والموضوعاتية والتأثيرية وكذا الإيحائية الدلالية وغيرها .

اتخذ الحبيب السائح من " كولونيل الزيربر " عنواناً لروايته التاريخية، وكدراسة نحوية صرفية هو عنوان مكون من مفردتين لغويتين هما " كولونيل " و " الزيربر"، حيث اعتمد فيها كاتبنا على خاصية الإضافة، وحذف خبر المبتدأ وهو ما يدعم فكرة أن حذف الخبر يحقق قيمة بلاغية للمسند إليه²، ويصبح بذلك الابتداء به مؤشراً لعلو مكانته في النص الروائي ودلالة على أنه سيكون شخصية متمركزة فعالة لها دور سردي مهم في مسار أحداث الرواية.

اختار الحبيب السائح لفظة "الكولونيل" بمعنى عقيد في الجيش ولفظة " الزيربر" كإشارة لمكان مهمش في الجزائر، وهنا نتساءل عن سر اختيار الكاتب الروائي اللفظي "كولونيل" و"الزيربر" بدلاً من مفردتي "العقيد" و " الأوراس" أو "جرجرة" مثلاً، مع العلم أنه لا يميل إلى توظيف اللغة الفرنسية الأجنبية إلا في مواضع نادرة من النص، ولعل الأمر يعود لرغبته في مواكبة العصر والتسمية العالمية محققاً بذلك مبدأ التجريب الروائي. وعن سبب اختيار الحبيب السائح للفظة "الزيربر" بالتحديد، فيبدو أنها رغبة منه إعادة الاعتبار والشأن للمناطق الجغرافية التي قام التاريخ الجزائري الموثق بتهميشها وإخفائها من السجل التاريخي الرسمي، فـ"الزيربر" موقع جغرافي [منطقة جبلية] من أكبر المعازل التي أوت الإرهاب أيام العشرية السوداء، قبل أن يكون منطقة آمنة يأوي إليها المجاهدون إبان حرب التحرير ينفذون منها مخططاتهم ضد الاستعمار الفرنسي الغاشم.

¹ - إدريس الناظوري، لعبة النسيان دراسة تحليلية نقدية، الدار البيضاء، ط1، 1995م، ص24.

² - ينظر: مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط1، بيروت، لبنان، 2012م، ص735.

الفصل الثاني: جدلية التاريخي والتخييلي السرد في رواية "كولونيل الزبير"

ويمكن أن يكون سبب اختيار مفردة " الزبير " على سواها من المفردات، راجع لتناسب المكان مرجعيا وتاريخيا مع الثنائية التاريخية [الثورة التحريرية، العشرية السوداء] والتي تمثل في الآن نفسه موضوع الرواية المطروح.

وفيما يخص الوظيفة التي يؤديها العنوان خلال فعل القراءة، فهي تأثيرية موضوعاتية ودلالية تدل على صاحبها في النص الروائي وتوحي إلى مكانته وتموقعه في إطار سرد أحداث الرواية.

2-دراسة الشخصيات:

أصبحت الشخصية من أهم العناصر الفنية التي لا يستغني عنها الروائي، فهي حسب النقاد بمثابة العمود الفقري لأي عمل روائي، فالروائي يصنع بشخصياته بإبداع وفنية بناءً متميزا متماشيا مع الواقع وفق مخيلته، بحيث بتشكلها. أي الشخصيات . يحصل تفاعل ملامح الرواية وتكوّن الأحداث، ويقع على الروائي أن ينتقي شخصيات نصه الروائي بحكمة وروية فيجعل الشخصية المناسبة في المكان المناسب لها.

جاء في لسان العرب عن مفهوم الشخصية: " كائن خيالي تبني من خلاله جمل تتلفظ بها هي أو يتلفظ بها عنها"¹، فهي كائن على ورق العمل السردى وركيزة من ركائزه الأساسية.

وفي الصدد نفسه يقول " حسن البحراوي ": الشخصية هي محض خيال يبدعه المؤلف لغاية فنية محددة يسعى إليها"²، فهي البؤرة التي يرتكز عليها العمل السردى،

¹ - أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، د/ط، مج1، دار صادر، بيروت، دس، ص406.

² - محمد بوعزة، تحليل النص السردى، تقنيات ومفاهيم، ط1، دار الأمان، الرباط، المغرب، 2010، ص40.

الفصل الثاني: جدلية التاريخي والتخييلي السرد في رواية "كولونيل الزيربر"

والحبيب السائح في روايته " كولونيل الزيربر " قام بتفعيل نوعين من الشخصية هما: التخييلي والتاريخي .

قدم لنا الحبيب السائح الشخصيات التاريخية المرجعية من خلال الشخصيات التخيلية [المخيلة] لنصه الروائي، من مثل الشخصية الرئيسية المتخيلة "جلال الحضري" المكنى كولونيل الزيربر، بالإضافة إلى شخصية مولاي بوزقزة، والطاوس.

1-الشخصيات التخيلية [المخيلة] الرئيسية :

جلال الحضري "كولونيل الزيربر": وهي الشخصية الرئيسية التي أبدعها الروائي الحبيب السائح من مخيلته، من خلالها قدم الكاتب أحداث الرواية وضمن سيرورة وقائعها وسردها، وتؤكد آمنة بلعلى في هذا الصدد بأن الرواية هي: "عمل تخيلي يوهم بالواقع فهي تتعامل مع الخيال كواقع، أي أن كل الأعمال الإبداعية تخيلية بامتياز خاصة جنس الرواية¹، باعتبار أن الشخصية التخيلية، وإن كانت رئيسية لها وقع في النص الروائي ككل، كائن على ورق العمل السردى، لا يمكن أن نعتبر لها وجود واقعي حتى وإن حاكت الواقع بتفاصيله، بحيث تبقى مجرد نسيج من خيال مؤلفها، وهي انعكاس لتجربته وفكره، وهذا ما أشار إليه "حسن بحراوي" في قوله: "الشخصية لا وجود لها خارج الكلمة"²، فشخصية جلال ذي كنية " كولونيل الزيربر " هي المحرك الأساسي للأحداث والقطب الذي يتمحور حوله الخطاب السردى، وعموده الفقري الذي ترتكز عليه الرواية³.

¹-آمنة بلعلى، المتخيل في الرواية الجزائرية من التماثل إلى المختلف، ص53.

²- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي [الفضاء - الزمن - الشخصية]، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1990، ص 123.

³- ينظر: قيسمون جميلة، الشخصية في القصة، كلية الأدب العربي، قسم اللغة العربية، جامعة منتوري قسنطينة - الجزائر / عدد 13، 2000م، ص 195. 209.

الفصل الثاني: جدلية التاريخي والتخييلي السردى في رواية "كولونيل الزبير"

عاشت شخصيتنا الرئيسية المخيلة جلال بوزقزة إبان مرحلتين تاريخيتين فاصلتين في تاريخ الجزائر الرسمي، فكان يلتحق بصف الدراسة بأكاديمية شرشال إبان الثورة التحريرية لتلقي العلم بعد أن يغدو عقيدا في سلك الجيش، توكل له مهمات القضاء على الإرهاب إبان مرحلة العشرية السوداء الأليمة والدامية، شب بعيدا عن عطف ودعم والده مولاي الذي كان يؤدي عمله النضالي كمجاهد وقائد لتحرير الوطن من ويلات فرنسا الاستعمارية، تزوج بـ"باية" ورزق بولدين هما: الطاووس ، وياسين. احتج الكولونيل لمقتل صديق والده العقيد شعباني لاتهامه بالخيانة والانفصالية، فأحال نفسه على التقاعد لظلم السلطة والساسة والجنرالات العسكرية، بالرغم من خبرته وسيرته المشرفة في سبيل تخليص الوطن من عقدة الإرهاب والخونة بنزاهته وشرفه ونضاله العسكري وحبه للوطن .

فمن خلال شخصية "الكولونيل" طرح " الحبيب السائح" موضوعه وإشكاليته، وصب فيها جُل عواطفه وأفكاره ووجدانه ليفهمها القارئ المتلقي على نحو خاص، ويبلغ بذلك أهدافه وفلسفته من خلال الشخصية نفسها لجمهور القراء.

مولاي بوزقزة :

هو شخصية تخيلية رئيسية ثانية، والد جلال الحضري، والمكنى " بوزقزة" مجاهد وقائد لأحد الفرق الثورية التحريرية في منطقة الزبير، عاصر الثورة التحريرية والعشرية السوداء كلاهما، وقف في وجه المستعمر الفرنسي الغاشم المستبد إبان المرحلة الأولى، ضحى لغاية إنقاذ الوطن وتحريره ليفقد بذلك أعز رفقائه وزملائه خلال فترة نضالهم بعد أن قامت فرنسا بتصفيتهم، وكان شاهدا على جرائم التنكيل وفنون التعذيب والقتل الممارسة على أفراد الأمة والأهالي الجزائرية، والتي رواها وسجلها في كتاب مذكرات ورثه ابنه جلال عنه، لترثه الطاووس هي الأخرى عن والدها الكولونيل .

الفصل الثاني: جدلية التاريخي والتخييلي السردى في رواية "كولونيل الزيربر"

إن شخصية مولاي المكني بوزقزة هي إذن شخصية مناضلة ومجاهدة شريفة، عاشت وعاصرت ظروف الثورة النوفمبرية ومآلاتها ومآسيها الدموية أين كان شاهدا عليها.

الطاهر :

وهي شخصية مخيلة، من إبداع مخيلة المؤلف الروائي لها مسارها وتموقعها في أحداث الرواية، فهو طبيب متزوج بامرأة فرنسية اسمها "فرنسواز" التحق خلال الثورة الجزائرية بزملائه وإخوانه في الجبل، لكن ليس لغرض الكفاح إنما بهدف التمريض ومداواة أفراد القوات الثورية من مجاهدين ومسبلين وغيرهم وتقديم العلاج والدواء لهم، وبالتالي فهو شخصية مضحية ومناضلة نزيهة وفر العون لوطنه ورفقائه خلال مرحلة ثورة نوفمبر، وكان شاهدا هو الآخر على أحداث وقائع الحرب داخل الجزائر العاصمة بالتحديد.

الطاووس :

وهي الابنة الوحيدة لجلال الحضري المكنى "كولونيل الزيربر"، طبيبة أطفال متزوجة بحكيم، هذا من جهة، وتقف شخصيتها الطاووس، من جهة مغايرة، مقام القارئ المتلقي وفي الآن نفسه الساردة لوقائع ومجريات وقوع أحداث الرواية، بحيث إنها ورثت في سن الرابعة والثلاثين سجل مذكرات خاص بوالدها الذي ورثه هو الآخر عن والده مولاي الحضري، لتكتشف بذلك راويتنا "الطاووس" حياة جدها بوزقزة الضابط السابق في صفوف جيش التحرير الوطني الجزائري خلال حرب التحرير، وتروي لجمهور القراء من كراسة جدها شراسة الحرب وفضاعة الموت ومشاهد التنكيل والتعذيب والإعدامات، فالطاووس تقوم . باعتبار ما سبق . مقامين هما:

- مقام الساردة الرواية والناقلة لمجريات ووقائع الرواية.

- مقام القارئ المتلقي، بحيث أنها تتفعل وتتأثر وتعلق على كتابات جدها ووالدها وهذا ما تحسنه في النص الروائي.

2- الشخصيات التخيلية الثانوية :

يعرفها النقاد على أنها: "مسطحة أحادية وثابتة ساكنة وواضحة ليس لها أي جاذبية، تقوم بدور تابع عرضي لا يتغير مجرى الحكى، لا أهمية لها، ولا يؤثر غيابها في فهم العمل الروائي، تقوم بأدوار محددة إذا ما قورنت بأدوار الشخصيات الروائية، قد تكون صديق الشخصية الرئيسية أو لإحدى الشخصيات الأخرى التي تظهر بين الحين والآخر، وقد تقوم بدور تكميلي مساعد للبطل أو معين له، فتظهر في أحداث ومشاهد¹ ، وبالتالي فهي تتحرك داخل النص الروائي لتحرك مصير الشخصية الرئيسية وأفعالها ولا قيمة لها بذاتها، فوجودها ثانوي فقط، ونذكر منها في هذه الرواية: شخصية باية زوجة الكولونيل جلال الحضري التي تمثل صورة المرأة الجزائرية الداعمة لزوجها مقتتعة بأفكاره ومقامه النضالي.

فرنسواز زوجة الطبيب الجزائري الطاهر، إذ تقوم مقام الشخصية الفرنسية المسالمة والداعمة للقضية الجزائرية بحقها في الانتصار والانفراج، مستنكرة كل الجرائم والتصفيات التي ينفذها العسكر الفرنسي ضد الأهالي الجزائريين لبشاعتها.

شخصية ثانوية أخرى هي شخصية شارل، صديق الطاهر، الفرنسي الذي يؤيد بدوره المحنة الجزائرية وحق الشعب الجزائري في تحقيق الاستقلال الجغرافي لبلاده.

¹ - محمد بوعزة، تحليل النص السردى [تقنيات و مفاهيم]، ص 106.

الفصل الثاني: جدلية التاريخي والتخييلي السرد في رواية "كولونيل الزبربر"

ملوكة وهي عمة جلال الحضري التي كانت كثيرا ما تقدم له النصائح وتروي له قصة حب مولاي ورقية جداه، وشخصيات سي الميهاجي ورقية، العقيد رزاز، الطالب الجامعي محمد الذي التحق بالجبل لنصرة قضيته الوطنية، وقيزا القائد الفرنسي الذي تفنن في قتل وتعذيب الجزائريين، وغيرها من الشخصيات الثانوية التي وظفها الحبيب السائح لسد الفجوات داخل العمل الروائي الأدبي، إذ إنها تكمل الرؤية أو المنظور الذي يريد الروائي مناقشة أبعاده وعرضها للقارئ.

2- الشخصيات التاريخية المرجعية:

ونعني بهذا النوع من الشخصيات ذلك النمط الذي: "يحيل على معنى ممتلئ وثابت حددته ثقافة ما، كما يُحيل على أدوار وبرامج واستعمالات ثابتة، إن قراءتها مرتبطة بدرجة استيعاب القارئ لهذه الثقافة [يجب أن نتعلمها ونتعرف عليها]"¹، فالشخصية المرجعية التاريخية على سبيل التحديد. لا تتأتى من مخيلة المؤلف الروائي ونسجه، إنما تمثل مرجعا تاريخيا وثقافيا في تاريخ أمة من الأمم الإنسانية، على نحو ما قدمه لنا الحبيب السائح من شخصيات تاريخية مناضلة، كشخصية المجاهد والمكافح محمد العربي بن مهدي، بحيث صور لنا المؤلف مشهد تصفيته واغتياله من طرف العسكر الفرنسي الغاشم، ف"العربي بن مهدي رمز للنضال والكفاح السياسي والثوري التحريري في الجزائر، شغل منصب قائد أحد الولايات العسكرية إبان ثورة التحرير. نشير أيضا إلى نمط آخر من الشخصيات الموسوم بفتة الشخصيات الإشارية.

¹-فيليب هامون، سيميولوجية الشخصية الروائية، تر: سعيد بن كراد، تقديم: عبد الفتاح كيليطو، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، 2013م، ص 35 - 36.

الشخصيات الإشارية: "والتي يصعب أحيانا الإمساك بها في العمل الروائي ككل لكونها شخصيات عابرة"¹، لا وقع لها على مجمل أحداث الرواية وسرد مجرياتها، إنما تكون مهمتها إما إعانة البطل الرئيسي أو أن تمثل شخصية عابرة في حياته يشير إليها الكاتب إشارة خفيفة دون الولوج إلى تفاصيلها الوصفية والجسمانية والحياتية عموما، على نحو ما قدمه لنا الحبيب السائح في " كولونيل الزيرير " بحيث اكتفى بذكر شخصية ياسين والإشارة إلى حادثة مقتله في إحدى العمليات التمشيطية، لكونه شرطي في سلك الأمن، والأمر نفسه بالنسبة لشخصية رقية والدة جلال الحضري، وغيرها من الشخصيات الإشارية التي اكتفى المؤلف بالإشارة إليها في نصه الروائي دون الخوض في تفاصيل حياتها، بوصفها شخوص عابرة لا دور تؤديه في سلسلة سرد أحداث الجنس الروائي التاريخي.

3-دراسة الزمن :

يعد الزمن جزء لا يتجزأ من الحياة الإنسانية، وماضيها وحاضرها ومستقبلها لكونه يترك أثرا فيها، ففي أحداث رواية " كولونيل الزيرير " مزج الحبيب السائح بين زمنين مختلفين هما الواقعي والمتخيل، أما الزمن الواقعي فهو يمثل مرحلتين تاريخيتين فاصلتين في تاريخ الجزائر الرسمي: الثورة التحريرية 1 نوفمبر 1954 م، والعشرية السوداء، في حين يمثل الزمن المخيل الزمن الذي نسجه المؤلف من إبداعه، ليقدم من خلاله الزمن الواقعي التاريخي [الحقيقي] الموضوعاتي بهدف تعريف القارئ المتلقي على وقائعه ومجرياته الحقيقية، وإكساب الرواية طابع الإثارة والتشويق.

يسعى الروائي للمزج بين الزمنين من أجل تشكيل رؤيا جديدة للقارئ : "لذا فتقارب الزمن الواقعي مع الزمن الروائي في التشكيل والرؤيا لا ينفي الاختلاف بين الزمنين، فالزمن الروائي ليس زمنا واقعا حقيقيا إنما هو زمن تكثيف وقفز وحذف، وتقنيات

¹-فيليب هامون، سيميولوجية الشخصية الروائية، ص 36.

الفصل الثاني: جدلية التاريخي والتخييلي السرد في رواية "كولونيل الزبرير"

يستخدمها الروائي لتجاوز التسلسل المنطقي للزمن الواقعي الموضوعي، إنه زمن مرن يتحرر فيه الروائي من قيوده¹، فالروائي يوهمنا بأن الزمن الروائي لنصه حدث واقعي بالفعل، لكنه ليس إلا زمنا متخيلا من إبداعه ونسجه الفني، وهذا بالضبط ما التمسناه في رواية "كولونيل الزبرير" للحبيب السائح بحيث ينتقل الروائي بين أزمنة كثيرة متشابكة هي :

- زمن قراءة " الطاووس " لما كتبه وسجله الوالد جلال والجد مولاي الحضري في بيتها برفان.

- زمن كتابة " الكولونيل " لليوميات أين دون أغلبها ليلا في مكتبته المنزلية بعد فترة تقاعده.

- زمن كتابة " مولاي بوزقزة " للمذكرات أو يومياته إبان مرحلة الثورة التحريرية والتي لم يسجل ويحدد لنا زمن تدوينها ولا عن موضعها.

- زمن آخر هو زمن كتابة الطبيب الطاهر لشهادته واستنكاراته لوقائع الحرب بالجزائر العاصمة، وهو غير محدد.

يقوم الزمن في "كولونيل الزبرير" على توالد الاستنكارات، بحيث يبدأ السرد من استنكار عام، والذي بدوره يفتح المجال لاستنكارات أخرى، وبذلك يشكل كل استرجاع بالقياس إلى الحكاية التي يندرج فيها، والتي يضاف إليها، حكاية ثانية زمنيا تابعة للأولى وهو المبدأ الذي اعتمده الحبيب السائح في بناء زمن روايته على نحو استنكار نزول النقيب "حطابي" مثلا كاستنكار أول، ما دفع " مولاي بوزقزة" لاستنكار واسترجاع محاسنه الوصفية وما وقع له بسبب مبلغ التموين ليمثل بذلك استنكارا فرعيا تابعا للاسترجاع الأول.

¹ - مها حسن يوسف عوض الله، الزمن في الرواية العربية، ص 31 .

الفصل الثاني: جدلية التاريخي والتخييلي السرد في رواية "كولونيل الزبير"

ورغم توظيف المؤلف لتقنية الاستذكار والاسترجاع إلا أنه وظف تقنيات مغايرة تعزز انكسار البناء الزمني في نصه الروائي من مثل تقنية الاستباق، أي استباق الأحداث، التي تمثل: "مخالفة لسير زمن السرد، تقوم على تجاوز حاضر الحكاية وذكر حدث لم يحن وقته بعد"¹، على نحو ذكر "الطاووس" لحدثي وفاة أمها باية وأخيها ياسين مسبقاً² دون اللوج إلى تفاصيل وفاتهما، لتأتي لاحقاً في المقاطع الموالية للرواية وتسرد لنا كيفية موتهما، بحيث تذكر للمتلقي في الصفحة مائتين وإثان وتسعون حادثة وفاة أمها في حادث سير أليم، وتفصل في الصفحتين السادسة والأربعين والسابعة والأربعين في واقعة وفاة أخيها ياسين بكاظم رصاص خلال عملية تمشيطية للقضاء على الجماعات الإرهابية المسلحة بينما كان في سلك الشرطة³.

ولا مناص من الإشارة هنا إلى أن: "هذه الاسترجاعات الاستباقية والاستباقات الاسترجاعية كلها مفارقات زمنية معقدة تربك أفكارنا المطمئنة"⁴، للصعوبة التي قد يصادفها القارئ المتلقي لنص الرواية إن أراد تحديدها وجمعها وبنائها بناءً منطقياً متسلسلاً في ذهنه ليتسنى له فهم مضمونها.

واعتماد هذا الاستذكار المفكك في نص رواية "كولونيل الزبير" يفترض بالضرورة حضور تقنيات القطع، إما بحذف أو قفز أو إسقاط لمراحل زمنية معينة لعدم قدرة

¹-لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، 2002م، ص 15.

²- ينظر: الحبيب السائح، كولونيل الزبير، ص 15.

³- ينظر: المصدر نفسه، ص 46 . 47 .

⁴-جيرار جونيت، خطاب الحكاية بحث في المنهج، تر: محمد معتصم وآخرون، ط2، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، مصر، 1997 م، ص 90 .

الفصل الثاني: جدلية التاريخي والتخييلي السرد في رواية "كولونيل الزبربر"

الذاكرة على ذكر واستعادة كل التذكارات والاسترجاعات السابقة على نحو حذف ثلاثة أشهر بين واقعتي: مظاهرات 11 ديسمبر و16 مارس¹.

وبالرغم من هيمنة تقنية الاسترجاع والاستنكار في نص الرواية، إلا أن الروائي الحبيب السائح فسح المجال أمام تقنية القطع، مما انجر عنه خرق بناء الزمن وتسلسله في "كولونيل الزبربر" وكسر منطق السرد التراتبي المتتابع.

4-دراسة المكان :

وهو من أهم مرتكزات العمل الروائي على غرار الزمن والشخصية والعنوان والسرد فالمكان: "أمسى شرطا لازما للروائي كي يبني عليه عالمه ويحيي فيه المجتمع الروائي الذي تعيش فيه مجموعة من الشخصيات"²، لكون المكان الروائي يصنعه الروائي من خلال اللغة ويتعامل معه بخياله الواسع وأحاسيسه ورؤيته المكانية الخاصة، ويتفرع إلى فرعين: المفتوح والمغلق.

أما المكان المفتوح في رواية "كولونيل الزبربر"، فتمثل في المكان الرئيسي "جبل الزبربر" بالرغم من عدم اتخاذ الروائي وصفا واقعا له، إلا أنه مثله في بُعدين دلاليين: الأول إيجابي والثاني سلبي، فقد كان منطلق الثورة النوفمبرية ومهدا لها في جبل "مولاي بوزقة" ليصبح بعد ذلك معقلا للجماعات الإرهابية المسلحة ويشهد بذلك تحولا جذريا من كونه فضاء إيجابيا إلى فضاء سلبي مأساوي أليم.

¹ - ينظر: الحبيب السائح، المصدر السابق، ص 184 .

² - أحمد مرشد، البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، ط1، دار الفارس، عمان، الأردن، 2005 م، ص 129 .

الفصل الثاني: جدلية التاريخي والتخييلي السرد في رواية "كولونيل الزيربر"

وصور لنا الحبيب السائح مدينة الجزائر العاصمة على أنها مكان مفتوح تم في شوارعها اغتيال وقتل آلاف الجزائريين بوحشية وخروج مظاهرات منددة بالمستعمر وطامحة لمستقبل حر لهم وللبلاد على العموم.

منح الروائي مكان " جبل الزيربر " دلالة وعناية قوية فجعله عنصرا لا يستغنى عنه في روايته، وأحياء بعد أن تم تهميشه سابقا محققا بذلك علاقة جديدة ومتجددة بالذاكرة الجزائرية التاريخية.

وأما فيما يخص المكان المغلق وهو الذي حددت مساحته ومكوناته¹ ، فتمثل لنا في فيلة جلال الحضري بالحاكمية، والمطبخ الذي تسرد منه الطاووس ما تقرأه من مذكرات والدها وجدها وأكاديمية شرشال التي التحق بها جلال لاستكمال مساره الدراسي [وصف أركانها بدقة] .

يقوم الخطاب الروائي في رواية "كولوميل الزيربر" على مبدأ انفتاح الأمكنة وعدم حدوديتها وتعددتها، بحيث رصدتها الروائي بوجهات نظر مختلفة وبأبعاد دلالية إما بالسلب أو بالإيجاب على نحو " جبل الزيربر" ومكان "السجن" الذي صورته على أنه ملجأ اقترحه رفقاء العقيد شعباني بدل إعدامه مصورا إياه تصويرا إيجابيا.

5- الحوار :

¹ - ينظر: عبيد مهدي، جماليات المكان في ثلاثية حنامينة (حكاية بحار، الدقل، المرفأ البعيد)، د. ط، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2011 م، ص43.

الفصل الثاني: جدلية التاريخي والتخييلي السرد في رواية "كولونيل الزبربر"

يمثل الحوار أداة وتقنية فنية روائية لا يكاد يستغني عنها أي روائي مبدع، و"تمط من أنماط التعبير تتحدث شخصيتان أو أكثر في فن من الفنون الأدبية، وينبغي أن يتسم الحديث فيه بالموضوعية والإيجاز والإفصاح"¹.

والحوار الجيد هو المعبر في الآن نفسه، ومن سماته الفنية سهولة قوله واتضح معناه، مع إمكانية التضحية بزخرف الكلام وأناقته في سبيل بناء المعنى وتشكله، ومن وظائفه التي يؤديها الكشف عن الشخصيات وتطوير سير العقدة الحكائية وتقديمها، مع الإشارة فيه إلى الواقع والإفصاح والإبانة عنه. وكلها آليات اعتمدها الحبيب السائح في بناء ركيزة الحوار في نص روايته " كولونيل الزبربر " بحيث إنه عمد إلى تشكيل حوارات ثنائية بين الشخصيات، ناقش من خلالها مواضيع سياسية وإيديولوجية فكرية، كفضح المسكوت عنه في التاريخ الرسمي الجزائري واستتكار الجرائم التي تفننت فيها السلطات الفرنسية لتعذيب الأهالي الجزائريين، وهو نوعان: داخلي وخارجي .

ومثال الحوار الخارجي للشخصيات الحديث الذي دار بين باية وجمال الحضري، أين ناقش فيه المؤلف قضية الساسة المستبددين والخيانة وفساد السلطة بعد الاستقلال².

وفيما يخص الحوار الداخلي، فصوره الحبيب السائح في حوارات شخصية الكولونيل جلال الحضري مع نفسه، تارة عن اشتياقه لزوجته باية وأهل عائلته وتحسره على وفاتهم، وتارة أخرى حديثه عما خلفته ظروف الثورة والعشرية السوداء على نفسيته.

6- اللغة السردية الموظفة:

¹ - طه عبد الفتاح مقلد، الحوار في القصة المسرحية والإذاعة والتلفزيون، مكتبة الشباب، القاهرة، 1975 م، ص 10.

² - ينظر: الحبيب السائح، كولونيل الزبربر، ص 39.

الفصل الثاني: جدلية التاريخي والتخييلي السرد في رواية "كولونيل الزبربر"

يتباين توظيف اللغة في الجنس الروائي من روائي إلى آخر، لاعتبارها الوعاء الفني الذي يصب فيه المؤلف الروائي جل أفكاره وإيديولوجيته وعواطفه وكذلك حلوله وطموحاته.

ويظهر لنا من التصفح الأول لرواية " كولونيل الزبربر " اشتغال الحبيب السائح على دقة لغته الموظفة، واستفادته من الآليات والتنظيرات النقدية والمعاصرة على نحو: التهجين والانزياح الأسلوبي والتعدد اللغوي، ليمتلك بذلك حرية التحرك في مساحة اللغة السردية الأمر الذي عده بعض النقاد رهانا أساسيا ساهم في علو شأن رواياته.

تتخذ لغة السائح نسقا فنيا مغايرا تنزع نحو الخرق والتمرد والانزياح الذي تعده ركيزة لها ويعرفه " جون كوهين : " بأنه خطأ متعمد يستهدف من ورائه الوقوف على تصحيحه الخاص"¹.

فهو خرق للمعيار المألوف ونشوز للغة الشعرية وهي ظاهرة فنية لا تغيب عن لغة "الحبيب السائح " من خلال :

- اعتماده على الاستعارات القليلة لتحقيق دلالات غير مألوفة، فربط "التنفس بالصمت"²، والهلع بالجنون واللفح بالحزن"³.

-خلق انزياح اللغة عن طريق استدعاء وسائل التصوير البلاغي من استعارات مكنية وتشبيهات تكثف المعنى وتصوره دقة التصوير.

¹-جون كوهين، بنية اللغة الشعرية، تر: محمد الوالي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 1989م، ص 194.

²- ينظر:الحبيب السائح، كولونيل الزبربر، ص 27.

³- المصدر نفسه، ص 63.

الفصل الثاني: جدلية التاريخي والتخييلي السردى في رواية "كولونيل الزبربر"

- خرق الترتيب النحوي للمفردات اللغوية للجملة على نحو ما قدمه في جملة: "تكون لونا لدمك إن أنت ذات يوم فُتلت"، بحيث قدم جملة جواب الشرط على جملة الشرط، محققا بذلك لغة فنية شعرية وانزياحا جماليا.

يجعل "الحبيب السائح" تشكيله اللغوي يخالف المؤلف والانزياح عن المعتاد من الصور التعبيرية البلاغية والأسلوبية عبر استدعاء رموز على نحو رمز [الحورية] وهو رمز أسطوري خرافي عالمي، تحقيقا لرابطة مشابهة بين "الشمس" و"الحورية" في المقطع الموالي: " رأيتها رأيت الشمس حورية نزلت عند الغروب بلباس أبيض ومن يدك قادتك وعند الشاطئ جلست بجنبك"¹.

وأما ما تعلق بتقنية التهجين اللغوي، فبرز عند "السائح" بمزجه بين اللغتين العامة [الدارجة الجزائرية] والفصحى العربية على نحو ما جاء في مقطع: " وهذا المجرم كان يقول لكم باللي كان عنده البركة وعلى كل حال بركته ما دفعت شيء عليه مدة طويلة، أعونوا العسكر وتربحوا العافية"².

تكشف لغة "السائح" عن خيال واسع في تصوير المشاهد الوصفية بالوصف الدقيق والواضح، لتقديم معلومات كافية عن الغرض الموصوف، فإذا عمد إلى الوصف وجدناه يستعين بلغة تنتج دلالات عميقة وإيحاءات متعددة للوصف الواحد، وإصراره على انتقاء الأوصاف انتقاء دقيقا معمقا، فيصف لنا مشهد احتشاد الناس في المحتشد بقوله: " ویدمعة في العين وحنق في الصوت، نقل بعبارات تنتظر أن تجد من المستمع لها نسجا، أن المحتشد "السلك" كما يسميه الأهالي، ليس شيئا آخر غير ذلك الضياع المحوم بكآبة على

¹- المصدر السابق، ص 212.

²- الحبيب السائح، كولونيل الزبربر، ص 111.

هذه الأشباح ذات العيون الزائغة والوجوه التي يحفرها الجوع، وهذه الأجساد يمتصها المرض وهذه العقول التائهة ينخرها سؤال وسؤال عن حالهم وغدهم¹.

ويمكن أن نشير، فضلا عما سبق، إلى أن السائح قد طعم نصه الروائي "كولونيل الزبرير" بلغات متعددة تعبر عن وعي مختلف البيئات الاجتماعية، وبذلك استطاع جعل لغة كل شخصية روائية تدل على انتمائها الاجتماعي والفكري وتوجهها الإيديولوجي.

7. آليات السرد في " كولونيل الزبرير":

يلحظ المنتبِع لروايات "الحبيب السائح" طريقته المتفردة في السرد التاريخي للأحداث، فيخلق بذلك فضاءً سردياً متخيلاً من إبداعه، بحيث يوطر التركيبة السردية التاريخية بإطار سردي متخيل فني، بشخصياته وزمانه ومكانه وحتى أحداثه الروائية، فعمد الروائي في بناء وتشكيل المسار السردية المتقطع لنص رواية " كولونيل الزبرير " إلى توظيف تقنية الاستنكار أو الاسترجاع التي تلغي تماماً التسلسل السردية وترتيب الأحداث، أين "يستحضر السارد حدثاً سابقاً عن النقطة التي وصلت إليها القصة"²، فيقوم بتأجيل بعض الأحداث ثم الرجوع إليها بالتذكّر، بغرض ملء الفراغات الكامنة في الترتيب السردية و"تحقق هذه الاستنكارات عدداً من المقاصد الحكائية مثل ملء الفجوات التي يخلفها السرد وراءه"³.

تقوم رواية "كولونيل الزبرير" على بنية سردية غاية في التعقيد بحيث تتشكل ضمن إطار روائي قسمه "الحبيب السائح" إلى ثمانية فصول، كل فصل يفضي إلى مقاطع مرقمة توهم القارئ بانتظامها وترتيبها السردية في الوهلة الأولى من القراءة باتصال الفصول

¹-المصدر نفسه، ص 165 .

²-عبد العزيز ضويو، التجريب في الرواية العربية المعاصرة، دراسة تحليلية لنصوص روائية حديثة، ط1، عالم الكتب الحديثة، المغرب، 2014، ص 21.

³- حسن بحرأوي، بنية الشكل الروائي، ص 121.

الفصل الثاني: جدلية التاريخي والتخييلي السردى في رواية "كولونيل الزبير"

بعضها البعض، أو احتواء الفصل الأول على موضوع ما تم طرحه في الفصل الثاني والثالث أو غيره، إلا أن المؤلف الروائي فرض عليها تتبع مبدأ مغاير فرضه عليه وعيه الشخصي بالمتخيل الروائي الذي أجبره على اختيار هذا النهج السردى المتقطع من جهة، ولخدمة مضمون المتخيل الروائي لرؤيته من جهة مغايرة.

وكمثال عن التقاطع السردى في نصنا الروائي نذكر انقطاعات مروى الوالد "كولونيل الزبير" والتي علقتها ابنته الساردة "الطاووس" بقولها: "لا بد أن أعزو ما أجبر الوالد كولونيل الزبير على سرد ما جعله الزمن القاهر من حياته، تبعثرات يصعب إعادة ترتيبها في الذهن إلى ضغط صرخته المحتسبة في روحه بفعل آلامه كل آلامه ... إنى أدرك أنه يصعب على ضابط سام مثله قياساً إلى ما مضى من تلك الحياة أن يفصل لحظة عن أخرى"¹، وكما هو ملاحظ هاهنا فقد علقت "الطاووس" انقطاع المحكي أو المروي للظروف القاسية والأليمة التي كان يمر بها آنذاك، وأفصحت أيضاً عن صعوبة الفصل بين ذكريات أبيها جلال الحضري بالنظر لصعوبة حكيه عن آلامه وتجاربه القاسية والأليمة، وعلى هذا النحو تعلق غياب تفاصيل حياة جدها في المروي السردى، وترجعه لضياع المذكرات الورقية وتلفها أثناء الحرب.

نضيف إلى كل ما سبق قراءات "الطاووس" المتقطعة لمروي جدها ووالدها الكولونيل هي الأخرى، مما دفع لبروز سمة التفكك لكونها السارد بصيغة "الأنا"، والمعلق على سجل ذكريات أبيها جلال وجدها مولاي بوزقزة بحيث تبدي شعورها وتعلق على موروثها المروي كلما سنحت لها الفرصة لذلك فنقول: "في لحظات فراغي مستعيدة هذا المشهد أو ذاك مما

¹-الحبيب السائح، كولونيل الزبير، ص 22.

الفصل الثاني: جدلية التاريخي والتخييلي السردى في رواية "كولونيل الزبير"

قرأته، غالباً ما ناجيت روجي بأن الوالد كولونيل الزبير إن كان تحدث عن شخصه بنزى وعلى حذر كلسى، فإنما لا ندماً ولا تبكيتاً بل حزناً فعظم لذلك في ضميري صمته"¹.

برر "الحبيب السائح" اختياره لتقنية الاسترجاع التي تسهم في خلق فوضى الأحداث وتراكمها، بالإضافة لتشظي الأزمنة، بررها باقتناعه الواعي بضرورة خلق بنية روائية خاضعة إلى رؤية إبداعية مغايرة ومتفردة في فنياتها، عبر خلق تقنيات التقاطع والاستنكار والاسترجاع في نصه الروائي، مما يلقي على القارئ المتلقي دور إعادة تركيب ذهني للوقائع بشكل منتظم مرتب، يتيح له فهم مضمون الرواية من جهة، وتبين له جمالية التفكك السردى في الجنس الروائي "كولونيل الزبير" من جهة أخرى .

وأما ما تعلق بسارد رواية "كولونيل الزبير"، فإن "السائح" تخلى عن تقنية السارد العليم، وعدد رواة وساردى نصه الروائي، بحيث تبدأ الرواية بإعلان "الطاووس" بنت جلال" التي وُضعت موضع القارئ، فتقول في بداية النص الروائي: "ها إني هنا في بيتي في رقان مستلقية في السرير منتظرة عودة حكيم من مداومته الليلية"²، ثم تنتقل للحديث بضمير الغائب بعد فتحها للفلاش ديسك الذي تركه أبوها وجدها.

ويأتي "الحبيب السائح" ليخرق وظيفة السارد العليم وإفقاره المعرفة بأحداث ومجريات جانب من الرواية، "الطاووس" السارد القارئ لا تعرف سوى ما أفصحت به يوميات الجد والوالد، وهي حين تصف شعور أبيها الكولونيل أو أفكار جدها بوزقزة مصورة الأحاسيس الذاتية لها بضمير الغائب، إنما تعيد صياغة ما تقرأه وترويه كساردة غير عليمية بمجريات ما خلفه لها والدها وجدها في السجل التذكاري، وقد جعلهما الحبيب السائح في بعض المواقع ساردين وفي مقاطع أخرى مسرودين لهما، وهي تقنية حديثة معاصرة تدل على إبداع

¹ - المصدر نفسه، ص 21.

² - الحبيب السائح، كولونيل الزبير، ص 13.

الفصل الثاني: جدلية التاريخي والتخييلي السردى في رواية "كولونيل الزبير"

الروائي وتفننه في تشكيل عالم روائي وبناء بنية روائية ذات معالم وتقنيات حدثية تسير التنظيرات النقدية المعاصرة، كما تعتمد الرواية على تعدد الرواة ونذكر منهم:

أنطوان الفرنسي، وجويل، والمولود وغيرهم من الرواة، كل ذلك بهدف خلق علاقة جديدة مع السارد غير العليم بإشراكه في نصه الروائي لفكّ شفراته والولوج لعوالمه الداخلية.

المبحث الثالث: التاريخ والتخييل في كولونيل الزبربر

1. التاريخ والتخييل في كولونيل الزبربر: ائتلاف أم اختلاف

أقام "الحبيب السائح" مشروع الروائي "كولونيل الزبربر" على بنائين متباينين متمثلين في: التخييل والتاريخ، فالأول، أي التخييل، يعطي للرواية خصوصية فنية تميزها عن غيرها من الأنماط الأدبية الروائية على وجه التحديد، ويسهم في خلق العملية الإبداعية الروائية وإعلاء خصوصياتها من خلال مبدأ انسجام النص وتماسكه "فالتخييل مرتبط بحركة الصورة في النص وتباينها وإيحاءاتها وإمكانات دلالتها ضمن مبدأ التماسك النصي، وعلى هذا الأساس يتحدد التخييل بنمط تركيبه من العلاقات القائمة بين الصور داخل النص كله، وهي علاقات يحصل بها ما يسمى الانسجام"¹.

أما بالنسبة للتاريخ فهو مرجع آخر ينهل منه الأدباء والمبدعين ما يلائمهم ويتماشى مع فكرهم الروائي، بحيث يستقي المؤلف من المادة التاريخية الموثقة ما يحفز القارئ ويثير فيه رغبة التلقي والتأويل، مما يُفعل بالضرورة مبدأ جمالية النص الروائي التاريخي وخصوصيته.

جاء في سياق حديث عبد القادر فيدوح عن بلاغة التخييل والرؤية التاريخية المرجعية في نص "كولونيل الزبربر" أن: "في رواية كولونيل الزبربر حفز عن الترغيب في تحسين المهارات اللغوية والطريق إلى إصابة الوصف فيها أجود، والحرص على استدعاء ذاكرتك بها أجدى، وأنفتك بالوطنية منها أعظم"²، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على القيمة

¹ - محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، ط1، مكتبة الأدب المغربي، دار محمد علي للنشر، تونس، 2010، ص 372.

² - عبد القادر فيدوح، تأويل التخييل، السرد والأنساق الثقافية، ط1، صفحات للدراسات والنشر والتوزيع، 2019م، ص 171.

الفصل الثاني: جدلية التاريخي والتخييلي السرد في رواية "كولونيل الزبير"

الفنية والتاريخية التي يحملها نص رواية الحبيب السائح، ويوضح عبد القادر فيدوح وزن المتخيل الروائي في "كولونيل الزبير" في كونه يتجاوز الصورة النمطية المعهودة سابقا في الجنس الروائي عموما، وهذا في سياق حديثه عن تجاوز النظام السردى وانزياحه عن ألفة تسلسل وتتابع أحداث النص ووقائعه، مؤكدا على التأثير الذي يتركه في نفسية القارئ المتلقي الذي يتوهم له واقعية المتخيل السردى في العمل الروائي .

أثرى الروائي الحبيب السائح روايته "كولونيل الزبير" بفضاءات لعوامل دالة بأمكنة وأسماء لشخصيات معبرة عن كل ما هو واقعي تاريخي¹، فانطلق من المكان المتخيل "جبل الزبير" الذي يحمل دلالتين متباينتين، الأولى لكونه ملجأ للمجاهدين إبان الثورة لإسقاط قوات العسكر الفرنسي بعمليات مدهامات سرية، والدلالة المغايرة تحمل معنى سلبيا إذ إن الجبل نفسه أضحي بعد مرحلة الاستقلال معقلا للقوات الإرهابية المسلحة إبان العشرية السوداء، فيكون بذلك الانطلاق من مسمى "الزبير" قصد تضمين وقائع تاريخية لتجربة اجتماعية جزائرية واصفة، من خلال الكشف عن أحداث الذاكرة المرجعية.

"لقد كان جبل "الزبير" مرجعية لسرد الرواية ومادة خصبة في تضاعف النص بوصفه نصا تاريخيا، حاول أن يعيد الانتماء لتاريخ ثورة التحرير في الجزائر حيث كان التاريخ هنا خادما للفن الروائي وساندا للذاكرة"²، فأضاء جوهر مكان منطقة الزبير المهمشة تاريخيا لإظهار القيم الثورية في المنطقة نفسها وكشف الحقيقة المغيبة آنذاك.

والرواية تجمع، تبعا لما سبق، بين تماثل الواقع وتمثيل المتخيل "حتى لكأن المدة الزمنية الموصوفة تاريخيا تُناظر زمن تلقي الرواية"³، ما يوهم للقارئ المتلقي تماثلية زمن

¹ - ينظر: عبد القادر فيدوح، تأويل المتخيل، السرد و الأنساق الثقافية، ص 167.

² - المرجع نفسه، ص 178.

³ - المرجع نفسه، ص 180.

الفصل الثاني: جدلية التاريخي والتخييلي السرد في رواية "كولونيل الزيربر"

الواقع التاريخي، أي زمن الأحداث مع الزمن الفني المتخيل الذي يسرد فيه مجريات ووقائع المرحلة التاريخية إبان الثورة والعشرية السوداء.

تبدأ رواية "كولونيل الزيربر" من خلال المتخيل الروائي من شخصيات ومكان متخيلين، بتفكيك المنظومة التاريخية في الجزائر بالنظر لنتيجه والتمهيش والضلال الذي طالها، وهو ما عبر عنه الفعل السرد في الرواية، بحيث انطلق "الحبيب السائح" من الشخصية المتخيلة والساردة " الطاووس" وفي الآن نفسه من مذكرات أبيها جلال الحضري المكنى "كولونيل الزيربر"، وجدها مولاي الحضري المكنى هو الآخر "بوزقزة"، لتعريه الأوضاع والقيم التاريخية السائدة في الحقتين التاريخيتين - الثورة والعشرية السوداء - وتفكيكها.

وتمثل "الطاووس" الشخصية الواعدة في صورة الجيل الجديد الذي غيبت عنه حقائق تاريخية كثيرة، وحرّم من التأمل إلى مستقبل مشرق ببناء وطن آمن، ثم إن ذهول شخصية "الطاووس" المتخيلة بما رواه له أبوها وجدها في سجل المذكرات، يبين لنا قيمة ذلك التاريخ المغيب عن الجيل الجديد، فسعى بذلك "الحبيب السائح" لفضحه وكشفه للواقع الجزائري على لسان شخصياته المتخيلة، من مثل ما جاء على لسان "مولاي بوزقزة" المهووس بحب الوطن وهاجس تحريره من المستعمر الفرنسي الغاشم قائلا: "نحن نعيد تاريخ الجزائر إلى مساره، نحن نصنع حدثه الجديد"¹، ليرسم بذلك "الحبيب السائح" هدفه ومبتغاه المنشود من وراء نصه "كولونيل الزيربر" بضرورة تعرية التاريخ المسكوت عنه وإعادة إنتاج تاريخ آخر يتم فيه إعادة الاعتبار لكل ما هو مهمش في تاريخ الجزائر الرسمي الموثق، عبر بعث الحقائق ومسائلة السجل التاريخي في الرواية لبحثه وتأويله تأويلا صحيحا.

ويتضح للمتلقي جرأة النص الروائي "كولونيل الزيربر"، سواء من جانب الموضوعات الحساسة التي تستدعي المعرفة والإلمام بتاريخ الجزائر الرسمي والمبطن، أو من جانب البناء

¹ - الحبيب السائح، كولونيل الزيربر، ص 167 .

الفصل الثاني: جدلية التاريخي والتخييلي السرد في رواية "كولونيل الزبربر"

السردية غير المؤلف، باعتماد الحبيب السائح على جملة من التقنيات والآليات السردية من استرجاع واستنكار واستباق للأحداث التاريخية في النص، من خلال لغة متينة ومتماسكة استمدها الروائي ممن عاشوا تجربة الثورة العشرية السوداء وذاقوا مرارتها.

واختار السائح لروايته طريقة السرد غير الخطي، من خلال تداخل الأحداث بحسب المصلحة التي تتجر عن التناظر بينها، بآليات الاسترجاع أو الاستنكار أو الاستباق، دون مراعاة التسلسل الزمني لوقوع الأحداث في الزمان والمكان.

لقد سعت رواية "كولونيل الزبربر" للبحث عن الحقائق المنفلتة في التاريخ الرسمي من وراء مشروع سردي روائي، اجتمع فيه المتخيل الروائي الفني بعرض مجريات التاريخ الرسمي بالجزائر إبان الثورة والعشرية السوداء وأحداثه، بهدف الاحتفاء بالذاكرة ومسائلتها وبحثها.

مزج "الحبيب السائح" في نص روايته "كولونيل الزبربر" في ملمح تجريبي فني بين السرد التاريخي والسرد الفني، في صورة تخلص فيها من رتابة التاريخ وواقعيته، ليكسر بذلك الملل الذي قد يصيب بعض القراء خلال تصفحهم لنص الرواية وتعرضهم لها بالدراسة والتأويل، "فبالرغم من كم الوقائع والأحداث وكذا الحقائق التاريخية التي تحملها الرواية إلا أنها لا تمثل الرواية التاريخية التي إن همت باستحضار الماضي أو التاريخ، طغى عليها وعلى بنائها الفني، فلا يتمتع الروائي فيها بحرية تصوير الأحداث التاريخية والتلاعب بها، لتكتفي بإظهار الوصف الداخلي العمق للشخصيات الروائية أو إدراج قصص رومانسية لا تمس ولا تمت للتاريخ الفعلي بأية صلة"¹.

وبالرغم من تاريخية نص رواية "كولونيل الزبربر" بالنظر لمضامينها، إلا أنها أخذت واستقت من التاريخ الرسمي ما يخدمها ويفضي بها إلى مسائلته وبحثه قصد تنوير وعي

¹ - مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات الأدبية في اللغة والأدب، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1984م، 184.

الفصل الثاني: جدلية التاريخي والتخييلي السرد في رواية "كولونيل الزبربر"

القارئ وتطويره (القارئ الجزائري على وجه التحديد)، فحين سرد وقائع إعدام العقيد شعباني الذي اتهم بالخيانة، وكذلك اغتيال القائد المناضل العربي بن مهيدي "أشار أوسارس إلى الفصلين، فأصعدا بن مهيدي فوق مقعد مكبل اليدين إلى الخلف، ووضعوا في رقبته الحبل المدلى من عارضة سقف خشبية، ولم يفعل أكثر من أنه ركل المقعد بحذائه ثم ولى مرددا ما كان سيعلنه، لقد انتحر في مركز الاستنطاق"¹، وهي كلها حقائق تاريخية تخيل لهذه الشخصية حوارات اغتياله. وأما بالنسبة للعقيد شعباني الذي أعدم في 3 سبتمبر 1964، تخيل له "الحبيب السائح" حوارات من خلال شخصياته المتخيلة أثبت من خلالها مكانته النضالية وشدة احترام المجاهدين له مما أكسبه شجاعة قوية جعلت سجانیه يخرقون القانون ويحدثونه بهيبة².

والمتمصفح لرواية "كولونيل الزبربر" يلحظ أن وقائع التاريخ ومجرباته هي التيمة المتناولة التي أخذها الحبيب السائح بالمسائلة والبحث في نص روايته، فبدل أن يستعمل السرد الكلاسيكي القائم على إدراج الشخوص التاريخية، كما هو الحال في الرواية التاريخية عموماً، فإنه عمد في أغلب أحداث جنسه الروائي إلى وقائع تاريخية حقيقية، ليسندها إلى شخوص متخيلة من نسجه الإبداعي، من مثل وقائع الاغتصاب الجماعي الممنهج ضد النساء الجزائريات، بالإضافة لسياسة الإبادة الجماعية للرجال والشيوخ وحتى الأطفال والنساء داخل المحتشدات الاستعمارية، وممارسة فرنسا التعذيب الجسدي والنفسي بكل أنواعه الوحشية، وهي كلها أفعال تاريخية واقعية بشعة مورست على الجزائريين بكل فئاتهم العمرية والثقافية الفكرية وحتى السياسية والتاريخية منها.

ابتعد الحبيب السائح، من أجل ما سبق، على نحو تجريبي مغاير للأعمال الروائية السابقة، ابتعد من الخضوع إلى التاريخ وتأثيره الذي يدفع ببعض الروائيين المبدعين إلى

¹ - الحبيب السائح، كولونيل الزبربر، ص 107.

² - ينظر: المصدر نفسه، ص 177 - 178.

الفصل الثاني: جدلية التاريخي والتخييلي السردى في رواية "كولونيل الزيربر"

الحفاظ على قدسيته وعدم المساس به، وعلى هذا النحو التمثيلي تمثل لنا توظيف الحبيب السائح للتخيل والتاريخ في نص روايته "كولونيل الزيربر"، أين اختلف فيه المتخيل عن التاريخ، وتباينت بُنى كل منهما على مستوى الشخصيات والزمان وكذلك المكان، ومن خلال كل هذا مرر الروائي أفكاره ومشاعره فيما يخص المحنة الوطنية بكل تفاصيلها.

ينطلق الحبيب السائح في نص روايته "كولونيل الزيربر" من المتخيل الفني (شخصيات مخيلة، زمان ومكان مخيلين) للوصول إلى حقائق التاريخ المبطن إبان فترتي الثورة والعشرية السوداء من جهة، والتمكن من جهة ثانية من مسائل ذلك التاريخ وبعث تاريخ آخر يتم فيه فضح فساد الساسة ومكونات الثورة الحقيقية المغيبة عن عامة الجزائريين، وبالتالي البحث عن الحقائق المنفلتة وراء النسق غير المعلن عنه.

وبين هذا وذاك تبقى " كولونيل الزيربر"، "مقاومة للنسيان" وتجربة روائية جديدة واعية ومغايرة بأساليبها الانزياحية وتقنياتها السردية الفنية التي أضفت عليها طابع التميز والرقي الروائي الفني.

2. هاجس الكتابة السردية الفنية عند الحبيب السائح في " كولونيل

الزيربر":

يعد بعض النقاد الجزائريين والمغاربة على العموم من خلال تعرضهم للمؤلفات الروائية للروائي الجزائري "الحبيب السائح" بالدراسة والاستكشافية والتحليلية النقدية، يعتبرونه ذلك المشروع الطامح الناشد للاكتمال الفني والموضوعاتي، يلخص من خلاله تجربة الجزائر على نحو ما جاء في روايته "كولونيل الزيربر" التي صدرت له عام 2015 بدار الساقى بلبنان، أين عثرت عن رؤية عميقة في تناول الموضوعات التاريخية والسياسية وحتى الاجتماعية الفكرية منها والتي تتعلق بالجزائر على وجه التحديد، فتنطقت إلى المسكوت عنه في التاريخ

الفصل الثاني: جدلية التاريخي والتخييلي السردى في رواية "كولونيل الزيربر"

الرسمي الموثق مشككة في بعض حقائقه التاريخية من خلال بحثه وقراءته قراءة تفكيكية تأويلية .

وتعصر التجربة السردية "الحبيب السائح" في "كولونيل الزيربر" الواقع الجزائري المأزوم عبر مرحلتين تاريخيتين فاصلتين في تاريخ الجزائر الرسمي متمثلتان في حرب التحرير أو ثورة نوفمبر، ومرحلة العشرية السوداء اللتان ألهمتا ولازلتا تلهمان الروائيين والكتاب الجزائريين وحتى الأجانب الغرب بالنظر للقيمة المرحلاتية والموضوعاتية لهما .

والحبيب السائح شأنه شأن معظم الروائيين الجزائريين الذين شغلتهم مآسي الجزائر إبان الثورة والعشرية السوداء، بظروفهما ووقائعهما ومآلاتهما على نفسية الشعب الجزائري أو الجيل الجديد، ففي "كولونيل الزيربر" يفكك "السائح" أسباب فشل المشروع التحديثي في الجزائر، ويغوص لمعرفة أسبابه التي تعود لصدمات الزعامات في الثورة الجزائرية وصراعاتها، التي كانت بدورها سببا مبطنا للعنف.

ومن خلال ذلك يعيد المؤلف الروائي تفكيك متخيل الثورة إلى تفكيك الذات، مما أفضى إلى خلق سرد مضاد للرواية قائم على تقنية المذكرات والاسترجاع اللتان تمثلتا في نص رواية "كولونيل الزيربر"، أين تم فيها المتاجرة بالتاريخ والنضال والوطن، وكان على الروائي أن يعين أسباب ذلك التشويه والتزوير الذي طال السجل التاريخي الجزائري الرسمي وتفضح مسببيه، بحيث أصبح كل من مواضيع: الوطنية والانتماء، التاريخ، العدالة، القانون، والتي تعرض إليها "السائح" في نصه الروائي "كولونيل الزيربر"، أصبحت كلها موضع تفكيك وبحث وسؤال وتشكيك، وبالتالي ضرورة الكشف عن الحقائق التاريخية المصغرة والمسكوت عنها من قبل السلطات الرسمية.

تتجلى لنا فلسفة الكتابة أو بالأحرى هاجس الكتابة الفنية والموضوعاتية السردية عند

"الحبيب السائح" عبر مؤطران أساسيان هما:

الفصل الثاني: جدلية التاريخي والتخييلي السردى في رواية "كولونيل الزبربر"

- مؤطر الماضي الممثل في المرجعية التاريخية الجزائرية، بدءًا من المرجعية الثورية التي نهضت على طابع اجتماعي اشتراكي.

- مؤطر استشراقي يتمثل في حلم المشروع التحديثي المجتمعي للدولة الجزائرية بعد مرحلة الاستقلال.

وهذان المؤطران كانا بمثابة المحرك الدينامي الذي وجه فلسفة الكتابة السردية لدى الحبيب السائح وفكرها، بحيث وشم مشروعه الروائي بنمطين اثنين هما: الخيبة والمواجهة.

خيبة وقائع ما بعد الاستقلال، وضرورة الكشف عن المستور التاريخي المبطن، والتشكيك في التاريخ الموثق. ويظهر لنا سؤال التاريخ عند "السائح" كموضوع قبل إعادة الإنتاج والقراءة والتأويل، ولذلك نجد التاريخ السياسي في "كولونيل الزبربر" يتحول لموضوع قابل للمسائلة والمجابهة والبحث، بعد أن تبينت للروائي معضلة المتاجرة بقيم التاريخ الثوري في الواقع المعيشي وكذلك استغلالها لأغراض سياسة وتبرير أحداث العنف -العشرية السوداء- بها، فقام "السائح" بإعادة إنتاج تاريخ آخر مغاير معلنا فيه تفكيك تاريخ العتمة المبطن وضرورة تعريته والكشف عنه لعامة الأمة بهدف الدفع بعجلة الذاكرة المضادة التي تأتي فيها المؤلف قبل أن يعلن مجابتهها وبحثها عبر تفكيكها.

كل ذلك عبر تأطير لغوي متمكن، سمح "للحبيب السائح" بامتلاك حرية التحرك في اللغة السردية الموظفة في مشروعه الروائي "كولونيل الزبربر" والتي عدها رهانا أساسيا تمليه رؤيته وتجربته السردية، فبالرغم من قيام العمل الروائي على اللغة العربية الفصيحة بهدف ردها للواجهة ورد الاعتبار لها وسط مجتمع جزائري مفرنس، إلا أنه ارتأى إلى توظيف اللهجة العامية الجزائرية بين ثنايا نصه السردى "كولونيل الزبربر"، ليعيد بذلك الاعتبار للتراث الشعبي المهمش.

الفصل الثاني: جدلية التاريخي والتخييلي السردى في رواية "كولونيل الزبير"

المستور في التاريخ الرسمي وتجريد حقائق الثورة وخبايها من صراعات داخل صفوف المجاهدين وصولا لكشف الخونة والساسة الفاسدة في الجزائر.

كل هذا في كيان سردى روائى متفرد، مزج فيه الحبيب السائح المتخيل الروائى بالتاريخ الرسمي، في تجربة إبداعية متميزة سمحت له بنقل رؤيته الخاصة ووجهة نظره المتعلقة بموضوعي الثورة والعشرية السوداء ومآلاتها، بجرأة كشف المسكوت عنه في التاريخ الرسمي ومساءلة القيم وتفكيكها لبعث المشروع التحديثي في الجزائر من جهة، والنهوض بالتجربة الروائية الإبداعية في الجزائر لتلائم وتتماشى مع الدرس النقدي وتنظيراته الأسلوبية من جهة أخرى.

ولا شك أن فلسفة الكتابة عند الحبيب السائح في جنسه الروائى "كولونيل الزبير" تحث على تغيير عاداتنا القرائية وتساهم في تطويرها لفهم ثانيا العمل الروائى وكشف علاقته بالتحويلات السياسية والاجتماعية السائدة.

خاتمة

سعيًا من خلال هذه الدراسة إلى استقرار كيفية تأريخ "الحبيب السائح" للثورة في روايته "كولونيل الزيربر"، وبحث فلسفة وهاجس الكتابة السردية الروائية في نصه الروائي، وقد توصلنا لمجموعة من الاستنتاجات المهمة وهي:

- أرخ نص الرواية لمرحلتين زمنيتين فاصلتين في التاريخ الرسمي الموثق للجزائر، الأول مرحلة الثورة وأحداثها التاريخية، الثانية مرحلة العشرية السوداء، أو ما يعرف عند الجزائريين بالمحنة الوطنية الدامية.

- كان الهدف من التأريخ لأحداث ومجريات الثورة التحريرية بالنسبة للحبيب السائح هو التشكيك في صحة التاريخ الرسمي ومصادقته، فعمدت الرواية لخلخلة الكثير من القناعات السياسية الراسخة في عقول العامة، في ما يتعلق بالنظرة إلى ثورة التحرير الجزائرية بوصفها حربًا لم تشبها أية انحرافات أو شوائب وتجاوزات، ليسعى بذلك الحبيب السائح لتغيير هذه النظرة الخاطئة من خلال نص روايته ويكشف المسكوت عنه وتعريفه للواقع الجزائري.

- يزواج الحبيب السائح بين التفكير المتعدد لبعض حقائق الخطاب التاريخي الرسمي والسياسي، بخرق المسكوت فيه والتمرد على التيمات والمواضع المحظورة (تشريح حقائق التاريخ الجزائري، تعرية فساد السلطة السياسية، الحديث عن الاغتصاب الممنهج)، وبين تفكيك البنية السردية الروائية، عبر نزعة تحديثية تعمد إلى مسائلة التاريخ والراهن ووقائعها اللإنسانية وتشريحهما، بحثًا عن أجوبة شافية تعيد إنتاج رؤية صحيحة تجاه الواقعة الحاصلة التي انتقاها السائح من عمق التاريخ الجزائري خدمة للمتخيل الروائي، وكذلك تدعيما لمبدأ الإيهام بواقعية الرواية.

- عبرت رواية "كولونيل الزيربر" للحبيب السائح عن رؤية عميقة وغير طويلة في تناول الموضوعات المتعلقة بالجزائر، فتطرقت إلى المسكوت عنه في التاريخ الرسمي

وشككت في بعض الحقائق التاريخية خاصة منها الثورية، عبر قراءة تشريحية له، ورصد التيمات الإشكالية كالحديث عن الآخر الفرنسي وعلاقته بالجزائري، وفساد السلطة السياسية في الجزائر، وتسلب الضوء أيضا على بعض المواضيع المهمشة، كالحديث من أوضاع المجاهدين ودور المرأة من خلال شخصيات الرواية.

- جمع السائح في نص رواية "كولونيل الزبربر" بين التاريخي والتمثيل (شخصيات تاريخية مقابل شخصيات متخيلة ومكان متخيل)، فانطلق من التمثيل السردي للحديث عن التاريخي الحقيقي، ويؤرخ على نحو ذلك لمرحلة تاريخية فاصلة في التاريخ الرسمي الموثق والمتمثلة في ثورة التحرير.

- اعتماد الروائي على تقنيات سردية معاصرة نحو آليات التقاطع السردية الناتج عن تقاطع الزمن الروائي (الاسترجاع والاستباق)، وانزياحية لغة الرواية الموظفة، وتشكيل لغة شعرية انزياحية نحويا لتكثيفها وبعث صيغ تعبير جديدة .

- تمثل هاجس الكتابة السردية عند الحبيب السائح في "كولونيل الزبربر" في محاولته التأريخ للتاريخ الجزائري (الثورة التحريرية والعشرية السوداء) لبعث المشروع التحديثي في الجزائر من خلال تعرية التاريخ المبطن وفضحه للواقع الجزائري.

وخير ما يقال في الختام أن الحمد لله الذي وفقنا لإنجاز هذا البحث الذي نأمل أن يكون منارة يستهدي بها باحثون آخرون، نتمنى أننا استطعنا الإحاطة بموضوع البحث ولو بالشيء القليل، وإن أصبنا في عملنا هذا فمن توفيق الله عز وجل.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- المصادر:
- السائح الحبيب، كولونيل الزبير، ط1، دار الساقى، بيروت، لبنان، 2015م.
- 2-المراجع:**
- 2-1-المراجع باللغة العربية :**
- إبراهيم عبد الله، التخيل الروائي، السرد والإمبراطورية التجريبية الاستعمارية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2011م.
- الحمداني حميد، بنية النص السردي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 1991م.
- السيد شفيح، اتجاهات الرواية المصرية، مكتبة الشباب، القاهرة.
- الشمالي نضال، الرواية والتاريخ، بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية، عالم الكتب، إربد، الأردن، ط1، 2006 م.
- الغلاييني مصطفى، جامع الدروس العربية، مؤسسة الرسالة الناشر، بيروت، لبنان، 2012م.
- القط عبد الحميد، بناء الرواية في الأدب المصري الحديث، دار المعارف، مصر، ط1.
- المحمص عبد الجواد، روايات جورجى زيدان "دراسة تاريخية"، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 2004م.
- الناقوري إدريس، لعبة النسيان، دراسة تحليلية نقدية، الدر العالمية للكتاب، الدار البيضاء، ط1، 1995 م.
- بحراوي حسن، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، شخصيات)، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1990م.
- بلعلى آمنة، المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلي المختلف، دط، العاصمة الثقافية العربية الجزائرية، 2006م.
- بوعزة محمد، تحليل النص السردي، تقنيات ومفاهيم ، ط1، دار الأمان، الرباط، 2010م.
- جبار سعيد، من السردية إلى التحليلية (بحث في بعض الأنساق الدلالية في السرد العربي)، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2013م.
- دراج فيصل، الرواية والتأويل التاريخ، نظرية الرواية والرواية العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، 2004م.

قائمة المصادر والمراجع

- سليمان نبيل، جماليات ووفائل روائية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط، 2003م.
- سيد النساج، بانوراما الرواية العربية الحديثة، دار المعارف، مصر، ط1، 1980.
- شكري ماضي عزيز، في نظرية الأدب، المؤسسة الوطنية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2005م.
- عبد الفتاح مقلد طه، الحوار في القصة والمسرحية والإذاعة والتلفزيون، مكتبة الشباب، القاهرة، 1975م.
- عبد الله محمد حسن، الواقعية في الرواية العربية، الهيئة المصرية للكتاب، د.ط، 1991م.
- عبيدي مهدي، جماليات المكان في ثلاثية حنامنية، د.ط، منشورات الهيئة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2011م.
- فائزة محمد داود، على أجنحة الخيال وفي أدغال السرد، ط1، وزارة الثقافة، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2014م.
- فريحات مريم، التجليات الملحمية في رواية الأجيال العربية، وزارة الثقافة، الأردن، ط1، 2005م.
- فيدوح عبد القادر، تأويل المتخيل - السرد والأنساق الثقافية -، ط1، صفحات للدراسات والنشر والتوزيع، 2019م.
- محمد محبوبة محمد، جماليات المكان في قصص سعيد حورانية، د.ط، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2011 م.
- مرشد أحمد، البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، ط1، دار الفارس، عمان، الأردن، 2005م.
- يقطين سعيد، قضايا الرواية العربية الجديدة، الدار العربية للعلوم ناشرون، الرياض، ط3، 2012م.
- 2-2-المراجع المترجمة:**
- جنيت جبرار، خطاب الحكاية، بحث في المنهج، تر:محمد معتصم وآخرون، ط2، الهيئة العامة للمطابع الأسيرية، مصر، 1997م.
- فاليط برنار، النص الروائي، تقنيات ومناهج، تر: بنحدو رشيد، المشروع القومي للترجمة، دمشق، سوريا، 1999م.
- فليب هامون، سيميولوجيا الشخصية الروائية، تر:سعيد بن كراد، تقديم:عبد الفتاح كيليطو، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، 2013م.
- لوكانش جورج، الرواية التاريخية، تر:صالح جواد الكاظم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1976م.
- 3.2. المراجع باللغة الفرنسية:**

قائمة المصادر والمراجع

- Mata Indonia ; Canlos Briel difinition and characteigation of a Historical Novel. University of Navarra. tronslation for Cuturahistoriica 2009.

3. ا لمعاجم والقواميس والموسوعات:

- ابن فارس أبو أحمد الحسن بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، جزء2، د.ط، دار الفكر للطباعة، 1979م.

- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، د.ط، مج1، دار صادر بيروت، لبنان، د س.

- الجرجاني علي بن محمود السيد الشريف، معجم التعريفات، تحقيق ودراسة: محمود صديق المنشاوي، د.ط، دار الفضيلة، مصر، 1413م.

- القاضي محمد وآخرون، معجم السرديات، ط1، مكتبة الأدب المغربي، دار محمد علي للنشر، تونس، 2010م.

- وهبة مجدي والمهندس كامل، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1986م.

4. المجلات:

- البوجي محمد بكر، روايات نجيب محفوظ التاريخية (بحث)، مجلة جامعة الأزهر، ع2، (غزة ، سلسلة العلوم الإنسانية، 2009)، مجلد 11.

- العالم محمود أمين، الرواية بين زمنيّتها وزمانها، مجلة فصول، ع12، 1993م.

- المصطفى سلام، التخيل في الفكر النقدي المعاصر، مجلة البلاغة والنقد الأدبي، المغرب، ع2، يوليو 2015.

- جيوري فريال، الرواية والتاريخ، مجلّة فصول، العدد 2، مجلد 2، القاهرة، 1982.

- حليفي شعيب، النص الموازي للرواية: إستراتيجية العنوان، مجلة الكرمل، العدد 46، 1992.

- حورية الظل، الفضاء الروائي بين الواقعي والمتخيل، المجلة العربية، العدد494، 2010.

- دوشيه كلود: [عناصر علم العنونة الروائي]، أدب فرنسا، عدد 12، كانون الأول، 1973.

- قبي زينب، الرواية والتاريخ : آراء روائيين جزائريين، مجلة ثقافية، منشورات وزارة الثقافة، العدد 09، يوم: 2007 /01/09.

قائمة المصادر والمراجع

- قيسمون جميلة، الشخصية في القصة، كلية الأدب العربي، قسم اللغة العربية، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، عدد 13، 2000.
- مرتاض عبد المالك، الرواية جنسا روائيا، مجلة الأقلام العراقية، العراق، العدد 12/11 نوفمبر 1986.
- يوسف أحمد، الشرط التاريخي وإيحاءات الغيرية في رواية الأمير لواسيني الأعرج، مجلة التواصل، جامعة باجي مختار، عنابة، ع 29، ديسمبر 2011.
- الحجمري عبد الفتاح، هل لدينا رواية تاريخية، مجلة فصول في النقد، القاهرة، ع 3، شتاء 1997.
5. الرسائل الجامعية:
- حسن يوسف عوض الله مها، الزمن في الرواية العربية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه الأردنية، إشراف محمود السمرة، 2002 م.
- السعيد زعباط، التاريخي و المتخيل في رواية كتاب الأمير عبد القادر لواسيني الأعرج، 2010.
- 6- مواقع الأنترنت:
- مونسي حبيب، عندما تطمح الرواية في أن تكون بديلا للتاريخ، قراءة في رواية الأمير لواسيني الأعرج، facebook.com، 2009/12/01

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

5مقدمة

الفصل الأول:

التاريخ والرواية التاريخية: بحث في العلائق والمميزات.

المبحث الأول : تحديد مصطلح الرواية التاريخية وبحث أهم شروطها ومميزاتها

1. تحديد مصطلح الرواية التاريخية.....9

2. شروط الرواية التاريخية وميزاتها.....12

المبحث الثاني: علائقية الرواية بالتاريخ وطموحات الرواية التاريخية وعوامل

ظهورها.

1. علائقية الرواية والتاريخ.....20

2. أسباب وعوامل ظهور الرواية التاريخية.....23

3. آفاق وطموحات وأهداف الرواية التاريخية المعاصرة.....25

المبحث الثالث: التخيل الروائي.

1. تحديد المصطلح.....28

2. في الرواية التاريخية الجزائرية المعاصرة.....35

الفصل الثاني:

جدلية التاريخي والتخييلي السردية في رواية "كولونيل الزيرير"

المبحث الأول: تلخيص الرواية وتصنيف

1. تلخيص الرواية: مضمونها ومواضيعها.....42

2. تصنيف الرواية.....49

المبحث الثاني: جماليات الكتابة السردية الفنية في رواية "كولونيل الزيرير" للحبيب

السائح.

1. دراسة العنوان.....53

2. دراسة الشخصيات.....55

3. دراسة الزمن.....61

634. دراسة المكان
655. الحوار
666. اللغة السردية الموظفة
687. آليات السرد في " كولونيل الزبرير"
المبحث الثالث: التاريخ والتمخيل في كولونيل الزبرير	
721. التاريخ والتمخيل في كولونيل الزبرير: ائتلاف أم اختلاف
772. هاجس الكتابة السردية الفنية عند الحبيب السائح في " كولونيل الزبرير"
82خاتمة
86قائمة المصادر والمراجع
92فهرس المحتويات

الملخص :

هدفت الدراسة إلى تحديد و تبيان أهم المواضيع و المضامين و كذا الأحداث التاريخية التي أرخ لها الروائي **الحبيب السائح** في نص روايته "كولونيل الزبربر"، أين أرخ لفترتي الثورة و العشرية السوداء و قام بمسائلة التاريخ و تفكيكه بهدف فضح المسكوت عنه و تعريفه للقارئ الجزائري. و وقفنا كذلك على أهم النقاط و التوضيحات الخاصة بهذا الشأن، بالإضافة سعينا لتحديد أهم آليات السرد و هاجس الكتابة السردية الفنية في "كولونيل الزبربر"، و تبيان مدى توفيق **السائح** بين التاريخي و المتخيل في نص روايته. و لتحقيق ذلك قمنا بتقسيم البحث الموسوم ب - التأريخ و هاجس الكتابة السردية في "كولونيل الزبربر" للروائي الجزائري **الحبيب السائح** - إلى مقدمة و فصلين - نظري و تطبيقي - و خاتمة. حيث تضمن الفصل الأول التنظير للرواية التاريخية و بحث أهم أسسها و طموحاتها و علائقية التاريخ بالرواية، أما الفصل الثاني التطبيقي تناولنا قضية التاريخي و المتخيل و هاجس الكتابة السردية في "كولونيل الزبربر" **الحبيب السائح**.

الكلمات المفتاحية :

التأريخ - هاجس الكتابة السردية- كولونيل الزبربر- الحبيب السائح .